

المجلد الثامن	صفر سنة ١٣٥٦	الجزء الثاني

مدير إدارة المجلة ورئيس تحريرها

محمد فريد وجدي

الإدارة

ميدان الأزهر

تليفون : ٨٤٣٣٢

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

الاشتراك

	قرش
داخل القطر المصري	٣٠
خارج القطر المصري	٤٠
للعلماء غير الموظفين وأئمة المساجد والمدرسين ومعلمي المدارس الأولية والطلاب ومصالح الحكومة ومجالس المديريات	داخل القطر ٢٠
للطلاب وأئمة المساجد	خارج القطر ٣٠

ثمن الجزء الواحد ٣ قروش صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

مطبعة الأزهر

١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م

فهرس

الجزء الثاني — المجلد الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

مشكلة الشبان المتعلمين فى مصر

قرأت فى « الاهرام » يوم الجمعة الماضى ، تحت هذا العنوان ، تلغرافا مطولا من مراسله بلندن ، لخص فيه مقالا للمستر روم لاندوفال ، نشره فى جريدة «سبكتاتور» ، ألم فيه بمشكلة الشبان المتعلمين فى مصر من ناحية العطل ، والعاطفة الوطنية ، والسياسة الحكومية ، والروح الدينية . ولست بمعنى من كل ما كتبه إلا بالمسألة الاخيرة ، فهى التى تحتاج فى نظرى لمناقشة جدية ، مبنية على الحقائق . وقد اعترف هو نفسه بأن هـذه المسألة أولى بالعناية من سواها فقال : « ولكن الأهم من هذا كله الوجه الروحى للمسألة » .

ثم مضى فى معالجة هذا الموضوع فقال :

« إذا كان كثيرون من الطلبة متمسكين بالمظاهر الخارجية ، فان الدين لم يعد عاملا مهما فى حياتهم ، أو يجدوا فيه (فلسفة) يمكن تطبيقها على الأحوال التى تبدلت وتغيرت . بل إن كثيرين يعدونه الملجأ الأخير للمحافظة على التقاليد الدينية العتيقة ، والخزعبلات فى الشرق» .

قال : «ولقد أعرب لى الدكتور طه حسين بك — وهو على الارجح يعرف مصر الحديثة أكثر من أى رجل آخر — عن ارتيابه الشديد فى هل للاسلام نفوذ إنشائى ما فى شباب اليوم . مما يدل على أنهم يجدون أنفسهم فى الهواء تماما ، حتى إنه يمكن القول بأن عجزهم الظاهرى عن تكوين معتقداتهم الروحية ، أو مطامعهم ، كان نتيجة مباشرة لذلك .

«ولكن فى البلدان الاسلامية ، من السهل أن يصبح الدين والوطنية شيئا واحدا . وإذا كان ليس من الصواب القول أن الشبان المصريين ماديون ملحدون ، فكذلك ليس من الصواب القول أنهم شديدو العناية بالأمور الروحية » .

ثم قال المستر روم لاندوفال :

«وهناك آخرون يشعرون بقلق ، من جراء الميل بين معلمى الاسلام المصريين ، الى التوفيق بين تعاليم القرآن الكريم والعلوم المادية والعقلية ، وهم يتساءلون : ألا يفقد الاسلام بذلك نفوذه بين كثيرين من أنصاره والمتمسكين به من القدماء ، دون أن يستميل اليه أنصارا جددا ، وليست هذه أول مرة يتبين فيها أن مسايرة العلم المادى تعود بالنوائب على الدين » .

ثم ختم المستر روم مقالته بهذه العبارة :

« لا يعتقد منصف بأن مشكلة الشبان فى مصر يمكن حلها من دون إصلاح روحى بعيد الأثر ، يتناول الشبان وزعماءهم السياسيين على السواء » انتهى .

نقول : بصرف النظر عما فى هذه العبارات من الغموض والمتناقضات ، يتضح للقارئ منها أن المستر روم لاندوفال حريص أشد الحرص على أن يصبح الشبان المسلمون وزعماؤهم متمسكين بالاسلام على أكمل ما يكون ، ولكن بعد إحداث إصلاح روحى عظيم يتناولهم هم وزعماءهم السياسيين .

لم هذا الاستدراك ؟ لأن الاسلام فى حالته الراهنة ليس له (فلسفة) يمكن تطبيقها اليوم على شئون الحياة التى تبدلت عما كانت عليه من قبل ، حتى أن كثيرا من المتعلمين أصبحوا فى الهواء لايرون فى دينهم إلا أنه قرارة لتقاليد بالية وخزعبلات شرقية !

وقد استأنس المستر روم فى حكمه هذا بما أفضى به اليه الدكتور طه حسين بك ، من أنه لم يعد للاسلام نفوذ إنشائى فى شباب اليوم ، وكان من آثار ذلك عليهم أنهم عجزوا عن تكوين معتقدات روحية لأنفسهم .

ثم ذكر ما أفضى به اليه حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى من أنه أدخل المواد العلمية الى الازهر ، ولكن المستر روم يشك فى فائدة ذلك ، لأن التوفيق فى نظره بين تعاليم القرآن والعلوم المادية والعقلية ، يفقد الاسلام سلطانه على المتمسكين بالقديم ، دون أن يستميل اليه أنصارا جددا ، لأن مسايرة الدين للعلم المادى كثيرا ما عادت عليه بالنوائب . ولم يذكر سبب طرء هذه النوائب . ولكن المتبادر للذهن أن سببها من استحالة التوفيق بين مقررات الاسلام ومقررات العلم ، فيستتبع ذلك إلحاد جمهرة المتعلمين كما حدث لدى الاوربيين حين هموا بعمل هذا التوفيق بين دينهم والعلم .

وبعد :

إننا نشكر للمستر روم لاندوفال اهتمامه بالشئون الاسلامية ، وغيرته على الشبيبة المصرية وزعمائها الى هذا الحد . ولكننا نستأذنه فى أن نقول : إن بحثه هذا كان يستدعى منه أن يعرف ماهية الاسلام ، وكنه الاصول التى يقوم عليها ، وحقيقة الغرض الذى يرمى اليه من قيادة النفوس فى معمعان التطورات العقلية والاجتماعية .

الاسلام لا يفرض على الناس (فلسفة) كلامية غير قابلة للتطور ، تتحجر وتنحل بمرور الزمان وتغير الاحوال ؛ ولم يعين لوضع هذه (الفلسفة) طائفة تستأثر بالسلطان الروحى على النفوس ، وتجمع بينه وبين السلطان المادى ، أو تتنازل عنه لبعض المتغلبين ، وتقوم حياتهم على قدم التصارع والنزاع . ولكن الاسلام فرض على الناس كافة أصولا خلقية ، وآدابا نفسية ، ومبادئ حيوية ، هى أقصى ما يمكن أن يتخيله العقل من الاطلاق والسمو ، مثلا عليا

لايأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، تؤدى الآخذين بها الى السمو المادى والأدبى معا ، تاركا لهم حرية تكييف أحوالهم على موجبها ، مخليا الطريق فى وجوههم لجميع التطورات والانتقالات المعنوية والصورية .

هذه قضية يتسع فيها مجال القول ، ولا يقبلها العقل إلا بسلطان ، فاليك هذا السلطان فى مثال محسوس :

انظر الى جماعة المسلمين الأولين فى أول نشوئها ، وإلى الحال التى قامت عليها ، وإلى العوامل التى دفعتها للحركة ، وإلى ما تطورت اليه بالانقياد لها . فان هذا النظر يكشف من معنى الاسلام ، ومن اتجاه الاصول التى أقام جماعته عليها ، والأغراض التى تؤدى اليها تأدية طبيعية لا تكلف فيها ، ما لا تكشفه البحوث المستفيضة ، والمناقشات المطولة .

ترك النبى صلى الله عليه وسلم الجماعة التى ألفها وليس فيها شريعة مدونة ، ولا شكل حكومى مقرر ، ولا طائفة مختارة ، ولا هيئات مسيطرة ، بل لم يعين من يقوم بالأمر من بعده . ولكنه وكلها الى تأثير الأصول الأولية ، والمبادئ الحيوية التى بثها فيها وعاهدها على أن تعمل بها ، فانظر ماذا كان أثر ذلك :

كان أول ما فكرت فيه هذه الجماعة أن تؤلف لنفسها حكومة ، وكان أول ما شعرت به أن تستكمل وجودها كأمة . فدفعها هذا الشعور لاسترداد أطراف بلادها شمالا وشرقا وجنوبا من المتحكمين فيها . فوقعت فى حرب مع الرومانيين والفرس فى آن واحد . وكانت نتيجة هذه الحرب استرداد شمال بلاد العرب ، والاستيلاء على الشام ومصر وشمال أفريقيا ، واسترجاع اليمن والعراق ، وحل دولة الفرس ، كل هذا ولم يمض عليها بعد انتقال رسولها ، عشر سنين .

كانت هذه الفتوح سببا فى احتكاك أفراد تلك الجماعة بأمم لديها علوم وصنائع وفنون ، فالتهموها التهاما وقربوا أئمتها وأكرموهم . ومازالت هذه الجماعة سائرة على هذا النحو حتى أتى عليها قرنان ، فاذا بها زعيمة العالم كله ، فى كل ناحية من نواحى النشاط العلمى والعملى والسياسى .

هذا التطور المحير للعقل من جماعة ساذجة لم يكن لديها سطور مكتوبة ، غير آيات كتابها المقدس ؛ ولم يكن قد جمع حين توفى رسول الله بين دفتين ، الى دولة لم تبلغ شأوها فى سعة الملك أمة الى اليوم ، كانت غاصة بالعلماء والفلاسفة والمشترعين والسياسيين الخ فى مدى أقل من قرنين ، يرينا من ماهية الاسلام ، وتأثير مبادئه ما لا ترينا أية دراسة علمية فى الأرض .

وهل وصلت جماعة المسلمين الى ما وصلت اليه من العلم وسعة السلطان ، إلا بنقل كتب المعارف الأجنبية الى لغتها ، ونشر ما فيها بين خاصتها وعامتها ، وفيها ما كان فيها من الآراء العلمية ، والمذاهب الفلسفية ، والشبهات الدينية ؟ أما تناولت كل ذلك وهضمته وتمثلته واحتملت بنيتها كل ما أثمرته من حركات فكرية ، وانقلابات أدبية ، وتطورات عقلية واجتماعية ؟ فان كان

قد أدركها الفتور بعد أكثر من ألف سنة أمضتها فى التفوق على الأمم ، فقد كان ذلك ، باعترافها ، بسبب انحرافها عن أصولها الأولية .

تلك الأصول والمبادئ الأولية التى أحدثت هذا التطور المعجز ، لا تزال حية سليمة من التحريف ، مستعدة لأن تثمر ثمراتها الطبيعية فى كل عصر بما يناسبه ، متى التفت اليها وعنى بالأخذ بها .

فلو كان للاسلام فلسفة معينة غير قابلة للتطور على مثال ما هو موجود منها فى كل الأديان المعروفة ، لبقيت جماعته الأولية على ما كانت عليه على عهد مؤسسها الأول ، ولبادت تلك الجماعة تحت تأثير الصروف المختلفة وهى فى حالة تحجر لا مخلص لها منه .

يروى المستر روم لاندوفال عن الأستاذ طه بك حسين : أنه يرتاب أشد الارتياب فى تأثير الاسلام فى نفوس الشباب تأثيرا عمليا . ولسنا نرى محلا لهذا الارتياب بعد ما تبين للخاص والعام أن الاسلام مجموعة أصول ومبادئ خالدة ، هى المثل العليا للايصال الى الحسنيين مادة ومعنى . لا أنه فلسفة معينة ، أو مذهب مقرر ، يفرض على الناس فرضا ولا يجوز لأحد أن يتخطاه الى غيره . فاذا كانت هذه الشبيبة لا تستطيع تكوين عقائد لها فى رعاية المثل العليا ، وتحت ظلال هـذه الحرية ، ففى رعاية أية فلسفة قابلة للتحجر تستطيع ذلك ؟ وإذا كانت تعجز عن تكوين معتقدات لها تحت ضوء المثل العليا ، فتحت أى ضوء تنتظر أن لا تعجز إذن ؟

لم يقل أحد فى الاسلام منذ وجد الى اليوم ، وقد مضى عليه نحو أربعة عشر قرنا ، إن مذهبا بعينه يجب الأخذ به دون غيره ، أو إن ما عمله الأوائل لا يمكن أن يهمل أكل منه . فتركت للعقول حريتها تصل الى أرق ما يمكن أن تصل اليه فى حدود الأصول الخالدة ، وفى كل زمان بما يناسبه ، فهل نجد بأنفسنا هذه الحرية فنتخذ لنا فلسفة ونفرضها على الناس فرضا ؟ هل مثل هذا القول يسهل وقعه على الأسماع فى البيئات العلمية فى العصر الراهن ؟

إن الأزهر الذى يوصف ظلما بأنه ملجأ التقاليد العتيقة والخزعبلات الشرقية ، ليس فيه رجل واحـد يخالفنى فيما أذهب اليه من هذا الرأى ، الذى قـد يعتبره المستر روم لاندوفال مكفرا فى رأى أقطاب القديم فى الازهر .

كل ما فى الأزهر أنه لم يرزق مصلحا يرقى أسلوب التعليم فيه ، فبقى خاملا فى القرنين الأخيرين . أما وقد رزق اليوم هذا المصلح العظيم فى شخص الامام المراغى فسيكون له شأن جلل بعد سنين قليلة . فهل بلغ المستر روم ، وهذا الامام المجدد يسرى عليه أصول الجامعات الكبرى ، ويدخل اليه اللغات الأجنبية ، ويرسل منه طلابا الى أوربا ، أن واحدا من أقدم رجال الازهر يرى أن هـذه الاصلاحات بدعة ؟ أليس الازهر نفسه هو الذى طلب أن يسلم مقاليده لهذا الامام المجدد ؟

نعم : إن شيوخا فى الأزهر عارضوا قبل ثلاثين سنة فى إدخال أوليات العلوم الطبيعية اليه ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك باعتبار أن هذه العلوم تنافى نصوص القرآن أو تضره ، ولكن باعتبار أنها قد تصرف طلبته عن التفرغ للعلوم الدينية .

ألم يعلم المستر روم أن (محمد على) موجد مصر الحديثة ، وهو بسبيل بناء صرح العلم الطبيعى ، وإقامة مدنيته ، استنجد بالأزهر ، فأنجده بنفر من أنجب طلابه ، أرسلهم الى أوربا ليعبوا من مواردها ، فلما آبوا بنى على أكتافهم هذا الصرح العلمى الذى نفخر به اليوم ؟

وإنى منذ أكثر من ثلاثين سنة ، أعلنت موافقة الأصول الاسلامية لأرقى أصول الفلسفة الأوربية ، فما وجدت من شيوخ الأزهر ، حتى القدامى منهم ، إلا تشجيعا وإطراء ، بل كانوا هم أشد طوائف الأمة إعجابا بما كتبت .

وقبل أن أختم هـذه العجالة أسأل المستر روم : على أى أساس يؤكد أن الشبيبة المصرية تعجز عن تكوين معتقداتها ؟

أيظن أن ذلك يكون لأن مئات من الآيات القرآنية تدعوها للنظر فى الكون والكونيات ، والتأمل فى القوى العاملة فيها ، والنواميس السائدة عليها ، دون أن تحد لها حدا تقف عنده ، أو تعين لها مجالا لا تتعداه الى غيره ، ناهية إياها عن التقليد الأعمى ، والجمود على الموروثات ، مؤكدة لها أنها تؤجر على ثمرة جهادها وإن أخطأت فيه ؟

إن كان لا مناص من أن يتهم المستر روم الشبيبة الاسلامية بعجز ما ، فهى تعجز ، وقد وصلت الى هذا المستوى من العلم العصرى ، أن تتخيل أن الاسلام يصدها عن أى ترق علمى أو فلسفى ، أو لا ينير طريقها للوصول الى أسمى عقيدة كتبت للبشر .

بقيت لنا كلمة :

يرى المستر روم لاندوفال أن الاسلام لا يصلح مقوما للنفوس إلا بعد إحداث إصلاح عظيم فيه ، وهو لم يذكر كلمة (إصلاح) إلا لأنه يتخيل أن الاسلام كسائر الأديان يقوم على (فلسفة) مؤلفة من آراء القدماء ومذاهبهم ، وشروحهم وتأويلاتهم ، فرضت على عقول أهله قرونا ، وحرم عليهم النظر فى أدلتها ، وفى مبلغ مناسبتها لأحوال الزمان والمكان ، وفى تعديلها كلما احتاجت الى تعديل فى حدود الأصول الاسلامية .

ولو كان المستر روم يعلم أن الاسلام يقوم على أصول ومبادئ هى نواميس الحياة الانسانية الكاملة التى لا تتبدل ، وأن المسلمين الاولين دونوا آراءهم ومذاهبهم فى حدودها ، وأنهم لا أقول لم يحرموا نقدها وتعديلها فحسب ، بل حرموا على الناس أن يأخذوا بها تقليدا بغير نظر ، وأن يعتبروها نهايات ليس بعدها مذهب ، قلت : لو كان المستر روم يعلم هذا ، لما ذكر

كلمة (إصلاح) لأنه لا موجب له مع وجوده عنصرا رئيسيا فى تركيب هـذا الدين ومعترفا به من جميع المسلمين ، ويعدل عن كلمة إصلاح الى كلمة (عمـل) ، فنصح للمسلمين أن يعملوا بدينهم ، مذكرا إياهم بأصوله الاولية الخالدة التى تسع فى حدودها كل ما يمـكن أن يتصوره العقل من تكمل مادى وأدبى دون أن يصادف السالك اليه أى حرج ما ؟

محمد فريد وجدى

لا غلو فى الدين

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله بعثنى بالحنيفية السمحة ، ولم يبعثنى بالرهبانية المبتدعة ، سنتى الصلاة والنوم ، والافطار والصوم ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى »

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : « خير هـذه الامة النمط الاوسط ، يرجع اليهم الغالى ، ويلحق بهم التالى »

وقال مطرف بن عبد الله الشخير لابنه ، وكان قد تعبد : « يا بنى إن الحسنة بين السيئتين (يعنى الدين بين الافراط والتقصير) ، وخير الامور أوسطها ، وشر السير الحقحقة .

وقال بعض العلماء : « عامل البر كآكل الطعام إن أكل منه قوتا عصمه ، وإن أسرف منه بشمه » أى تخمه .

وروى عن عيسى عليه السلام كما ذكره ابن عبد ربه فى العقد ، أنه اتى رجلا فقال له : ما تصنع؟ قال : أتعبد . قال : فمن يعود عليك ؟ قال : أخى . قال عيسى عليه السلام : هو أعبد منك .

قال ابن عبد ربه : ونظير هـذا أن رفقة من الاشعريين كانوا فى سفر فلما قدموا قالوا : ما رأينا يا رسول الله بعدك أفضل من فلان : كان يصـوم النهار فاذا نزلنا قام من الليل حتى نرتحل ، قال : فمن كان يمهن له ويكفله ؟ قالوا : كلنا . قال النبى صلى الله عليه وسلم : كلـكم أفضل منه .

وروى على بن عاصم عن أبى إسحق عن الشيبانى قال : رأيت محمد بن الحنفية واقفا بعرفات على برذون وعليه مطرف خز أصفر .

وروى السدى عن ابن جريجة عن ابن عباس قال : كان يرتدى برداء بألف .

تدل هذه الروايات على أن ليس فى الاسلام حرج على طعام أو كاس إلا إذا خرج عن حد الاعتدال ، أو كان من المحرمات .



سورة لقمان

— ٤ —

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : (خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا، وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ، وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ، وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) :

قد سبق أن توعد الله الذين يحيدون عن آياته الحكيمة التى هى هدى ورحمة الى لهو الحديث ، مضلين عن سبيل الله ، هازئين بالآيات البينات ، مستكبرين معرضين عنها كأن لم يسمعوها ، توعدهم بالعذاب الاليم . وساق ذلك الوعيد بلفظ البشرى ليبكتهم ويغيظهم أشد الغيظ ، وليصورهم وهم فى مرحهم ولهوهم بأنهم ينتظرون فى تلك الحالة أن تتصل حلقات مرحهم بمسرات تتلوها ، فاذا سمعوا كلمة « بشره » اشرأبت اليها أعناقهم ، فاذا صدموا بعدها بأن البشرى إنما هى بالعذاب الاليم كانت النكاية بهم أبلغ ، وكانت حالهم حينئذ أشنع .

ثم أردف ذلك الوعيد بالوعد الحسن للذين آمنوا وعملوا الصالحات بأن لهم جنات النعيم ، أى أن الجنات بما فيها لهم يتمتعون فيها بما يشاءون غير مدافعين ولا منازعين ، تمتع الملاك بما يملكون ، كما يؤخذ من اللام فى لهم ، ومن الاسناد الى الجنات نفسها ، وهو أبلغ من الاسناد الى نعيمها ، فمن ملك الشيء كان استمتاعه بكل ما فيه أتم ، بخلاف من ملك صفة من صفاته فان تصرفه يقتصر على تلك الصفة ، وذلك كما ترى من الفرق بين المالك والمستأجر ، وترى من هذا دقة الفرق بين لهم جنات النعيم ، ولهم نعيم الجنات .

ثم أردف كلا من الوعيد والوعد بما يقرر تنفيذهما ، إذ قال عز وجل : « وعد الله حقا » فقرر أن هذا الوعد من الله ، ومن أوفى بعهده من الله ! وزاده بقوله : « حقا » زيادة

فى التقرير والتثبيت ، وختم الآية بقوله : « وهو العزيز الحكيم » أى هو القادر الغالب على أمره ، الذى لا يرد له مراد لعزته ، الحكيم الذى يضع الاشياء فى مواضعها ويقرها فى نصابها .

وقد أردف هذا بقوله : « خلق السموات بغير عمد ترونها » الخ ، تقريراً لعزته وباهر قدرته ، وتوضيحا لحكمته وإتقان صنعته . يتجلى الاول وهو كمال القدرة فى « خلق السموات بغير عمد » ويتجلى الثانى وهو كمال الحكمة فى « ألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم » الخ الآية ، بل كل منهما عند التأمل يظهر فيه القدرة والحكمة .

والخلق : أصله التقدير ، يقال : خلق الخياط الثوب إذا قدره قبل أن يقطعه ؛ ومنه قول الشاعر :

وأراك تفرى ما خلقت وبعـ ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

ولكنه كثر استعماله فى الايجاد ، ولا سيما فيما يسند منه الى الله عز وجل ، وكأن فى ذلك إشارة الى أنه جل شأنه متى قدر أمرا وأراده على وجه خاص وجد لا محالة « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » .

فمعنى خلق السموات إيجادها على وجه مقدر محكم لاخلل فيه ولا نقص ولا تفاوت .

والسموات : جمع سماء ، وهى كما سبق لنا فى تفسير سورة الرعد عند أكثر العلماء الاسلاميين : هذه الأجرام الفلكية المحيطة بنا ، المتحلية بلون الزرقة ، وذلك ما يدل عليه ظواهر النصوص والأخبار الكثيرة .

وبعضهم يرى أن هذا اللون ليس لون السموات ، فانه يحدث من أسباب عدة : كأن يكون أجزاء بخارية جوية يسطع عليها ضوء الكواكب ويليها طبقة مظلمة ، فيحصل من امتزاج الضوء الكوكبي بالأجزاء المظلمة لون متوسط بين السواد والبياض هو لون الزرقة ؛ أو من تعاقب ذرات ذات ألوان متعددة ، فيحصل من امتزاجها ذلك اللون المخصوص ، فلا يلزم أن يكون هذا المرئى هو لون السماء .

ويمكن الرد على هذا الوجه بأن حصول لون الزرقة لهذا السبب الذى ذكروه لا يمنع أن يحصل لسبب آخر ويكون هو لون السماء حقيقة ، فيكون كلا الأمرين فى نظر العقل جائزا ، وقد جاءت ظواهر النصوص مفيدة أن ما نراه هو السماء ، فلا موجب لصرفها عن ظاهرها .

وأصحاب هذا الرأى الثانى منهم من يفسر السموات بأنها الكواكب ، وكل ما ارتفع فهو سماء ؛ ومنهم من يفسرها بأنها المناطق التى تسبح فيها الكواكب ، وهى أيضا مرتفعة . ولا يخفى عليك أن ظهور آثار القدرة إنما يكون فى رفع شىء ذى وجود حقيقي ، أما المناطق الخالية

التى لم تزد عن أنها فراغ تسبح فيه السموات ، فليس فى ارتفاعه وهو خلو أثر للقدرة ، ولا يقال : إنا نراه مرتفعا .

وبعد : فالذى ينقدح فى الذهن وتطمئن اليه النفس ، هو أن هذا المرئى هو السماء ، وذلك ظاهر النصوص ، فإذا قام الدليل العقلى على انتفاء ذلك وأثبت أنه ليس هناك سماء بالمعنى الجرمى المتعارف ، صح المصير الى التأويل ، وإلا كان التأويل والصرف عن الظاهر تشهيا بلا موجب . ولتنتبه الى أنه فرق بين قيام الدليل العقلى على انتفاء السموات وبين عدم قيامه على وجودها ، فالأول يصلح صارفا للنصوص عن ظواهرها بخلاف الثانى ، كما أن هناك فرقا بين الدليل الموجب للجزم والدليل المحصل للتخمين والظن ، فالاول يصلح لتأويل النصوص بخلاف الثانى .

« بغير عمد ترونها » :

العمد : اسم جمع عمود أو عماد ، وقيل جمع عمود كأديم وأدم . ومعلوم أن فعيلا وفعولا متشاركان فى الأحكام غالبا . والعمود : ما يعتمد عليه ويستند اليه . وقوله : « ترونها » أى تبصرونها ، ضميره عائد على السموات ، والجملة مستأنفة كأنها دليل على أنها ليس لها عمد ، أو جواب لمن يقول : ومن أين لنا أنها لا عمد لها ؟ فيقال : ها أنت ذا تراها ولا عمد لها ولو كان لها عمد لرأيت عمدها كما رأيتها . وبعضهم أرجع ضمير ترونها الى عمد ، وكأن المعنى : خلق السموات بغير عمد مرئية ، فلا مانع أن يكون لها عمد غير مرئية ، فقيل : والعمد غير المرئية هى قدرته عز وجل ، وهو بعيد عن بلاغة الاسلوب القرآنى كما ترى ، فان تسمية قدرة الله عمدا للسموات لا يكاد يسيغه الذوق السليم . وقيل بل العمد غير المرئية عمد حقيقية لا نراها ، وقد وردت بها الاخبار . ومثل هذا القول لا يلتفت اليه ، فلم يصح فيما نعلم خبر فى هذا ، وما يرويه بعض المفسرين من إسرائيليات مستغربة فذلك مما ابتلى به المفسرون قديما ، وأفسد على كثير منهم أمرهم ، فلا تعويل على مثل تلك الروايات . وكأن الحامل لهم على جعل الضمير عائدا على العمد أنه جاء فى قراءة « بغير عمد ترونه » ولا يمكن أن يعود على السموات لأنها مؤنثة ، فتعين عوده على العمد ، والقراءات يفسر بعضها بعضا . وأنت خبير بأن هذا لا يتعين فى عود الضمير على العمد ، فقد يكون عائدا على الخلق الذى جاء فى « خلق » أى ترون أثر ذلك الخلق فيما تشاهدون ، ألستم تبصرونها ولا عمد لها ؟

« وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم » :

الالقاء : الوضع ، وفى الغالب يكون حطا من أعلى الى أسفل ، وإذا كان الملقى ذا قوة وبطش استدعى إلقاؤه ثبات الملقى غالبا . والرواسى : جمع راسى ، من رسا يرسو ثبت واستقر ، وهو قريب من معنى الرسوخ . وقوله : « أن تميد بكم » : مثل هذا التركيب يقع كثيرا فى عبارات الناس فيقدر معناه بقولهم : خشية أن يحصل كذا ، أو حذر

أن يحصل كذا ، ولما كانت الخشية والحذر مما لايليق نسبته الى الله استبدلوا بها كلمة «كراهة» أى كراهة أن تميد بكم ومنهم من يقول : إن المعنى على حذف «لا » أى لئلا تميد بكم ، ولا داعى لزيادة لامع ظهور المعنى بدونها ، وليس هذا من موضع حذفها مع مراعاة معناها .

والميدوالميدان : الاضطراب والتزلزل . والظاهرأن المراد به هنا تزلزل أجزائها وتحولها إذا لم تكن متماسكة بما يضبطها ويربط بعضها ببعض . والجبال هى تلك الأجرام الأرضية المتماسكة الصلبة من الحجارة وما فى معناها ، تظهر على وجه الأرض سائخة القواعد فى داخلها ، فيكون فى تماسكها فى ذاتها وتشابك أطرافها بعضها ببعض إمساك للأرض أن تنهار أجزاؤها وتضطرب فى أحياز متعددة تمنع كمال الانتفاع بها والطمأنينة عليها . وفى التعبير بقوله : « بكم » بعد تميد ، إظهار لموقع النعمة الموجبة للشكر والاعتراف بالجميل ، من حيث كان منع الاضطراب فى مصلحة المخاطبين ، أى حتى لا تكونوا مزلزلين غير مستقرين فتتعرضوا للأخطار ويلحق مصالحكم البوار .

وقوله : « وبث فيها من كل دابة » لفت الأنظار الى أثر آخر من آثار الاقتدار ، وهو إيجاد الحياة المتنوعة منتشرة فى أرجائها ، فأينما تنقلتم فيها صادفتم نوعا من الاحياء جديدا يدل على عظمة قدرته عز وجل ، واستطعتم أن تنتفعوا منها بما يتيسر لكم الانتفاع به ، فكل مسخر لكم ، وقد أعطيتم من قوة العقل وسعة الحيلة ودقة البحث مايمكنكم من الانتفاع بها فى عدة وجوه ، وإذا أعوزكم الانتفاع ببعض منها فلعله يوجد بعدكم من يهتدى الى وجوه منفعة لم تدركوها ، فحرمانكم من منفعة بعضها لا يمنع من انتفاع من هو أدق نظرا وأوسع عقلا . على أن وجوه الانتفاع إنما تلزم حين يراعى ما فيها من معنى الرحمة والنعمة عليكم ، وإلا فهى شاهدة فى تركيبها وتنوع أجناسها وألوانها وطبائعها وقواها بعزة مبدعها وكمال قدرته ، وشاهدة فى استكمال كل نوع منها قوى تحفظ نوعه وتحمى أفراده وتنظم حياته ، شاهدة فى ذلك بكمال حكمته ، فهو العزيز الحكيم ، وهو الرءوف الرحيم .

قال : « وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم » :

دليل إثر دليل ، حتى تمتلىء النفس يقينا وإيمانا ، والأدلة المترادفة تجد لكل منها أثرا خاصا فى تنمية اليقين ، حتى ينتقل النظرى الى الضرورى ، والمستدل عليه الى ما يقارب المشاهد.

والعدول فى هذا من ضمير الغائب فى : خلق ، وألقى ، وبث ، الى ضمير المتكلم «أنزلنا» «أنبتنا» يسمى فى البلاغة التفاتا ، ونكتته أن تنويع الكلام من طريق الى طريق من شأنه أن يجدد من نشاط السامع ويقوى انتباهه ويدفع عنه سآمة التكرار على وتيرة واحدة . ويمتاز هنا بميزة أخرى وهى إظهار الامتنان من المتكلم على السامعين وسوقه مساق مالا مساغ لتداخل متداخل فى إبرازه ، فما كان لأحد أن يدعى أن له مدخلا فى تكوين الامطار وإنزالها من

السماء ، فى حين أن بث الدواب قد يخون امرأ عقله فيه فى بعض الاحيان فيقول : قد كان لى من حسن القيام على دوابى وأنعامى باستيلادها وتغذيتها وحمايتها من العوادى ما جعلها تنمو وتنتشر ، وما أكثر غرور الانسان ، وما أقرب انخداعه بما يتوهم أن له فيه مدخلا !

والسماء : جهة العلو ، ولا تكاد تجد ماء يحصل للانبات إلا ماء المطر النازل من السماء حيث تضربه الرياح فتنقيه من الأملاح ، فاما استخدم فى الانبات مباشرة ، وإما تشربته الأرض فسلك ينابيع فيها ثم ظهر فى عيون نابعة فى جهات متفرقة ، وإما جرى أنهارا على وجه الارض فنقل مطرا من جهة جبلية لاتنتفع به فى الانبات الى أرض سهلة ضبطته وانتفع به أهلها ، أوكان زائدا على مواقعه فيجرى ليعم نفعه جهات ثانية . وعلى الجملة فأكثر ما يسند الانبات الى الماء المنزل من السماء ، وأما الماء المحيط بمعظم سطح الأرض وهو ماء المحيطات والبحار المتفرعة منها ، فلا يكاد يستند اليه الانبات .

وقوله تعالى : «فأنبتنا» بضمير المتكلم ليأخذ الطريق على الناظر المتأمل ، حتى لا ينخدع بالظواهر السطحية وزعم أن هذا الماء هو المنبت فيقصر نظره على ما شاهدته حواسه ويعطل عقله عن أن ينفذ الى الحقائق من ورائها . وناهيك بقوم عبدوا الأنهار وقدسوها لأنها مظهر الانبات الذى عاد عليهم بالفوائد ، فمثلهم كمثل رجل حكم عليه قاض بحكم وسجله بقلمه فلم يرضه الحكم ، فأخذ القلم يكسره ، أوحكم له بحكم أرضاه فأخذ القلم يقبله ، فما للقلم وما للحكم له أو عليه ؟! ولكنه النظر القصير لا يعدو طرف الانف ، بل العمى والعمه فى البصائر والأبصار !

وقوله « فيها » دون أن يقول : « به » كما فى موضع آخر ، لأن الآية وإن سيقت للاستدلال فالغرض توجيه النفوس الى شكر المنعم المتفضل .

وقوله : «من كل زوج كريم» : الزوج هو الشىء ينضم الى غيره ويتزاوج ليكون من بين انضمامهما إنتاج مقصود ، وقد يطلق على مجموع المتزاوجين كلمة زوج ، ولكن معناه الاصلى هو الشىء المنضم الى غيره ، فهما زوجان ، وكل منهما زوج . ومعنى الكريم : المنتج الصالح للانتفاع به ، الكامل فى وجوده . والاتيان بمن هنا كما فى قوله « من كل دابة » للاشارة الى أن فى قدرته تعالى أن يضاعف من الخلق أضعافا ، وأن هذا الذى أوجده إنما هو شىء مما تسعه قدرته .

ثم الفاء فى قوله : «فأنبتنا» للتفريع على كل من إنزال الماء ، وحفظ الأرض من أن تميد . أما الأول فظاهر ، وأما الثانى فلأن فى سكونها عونا على استقرار البذر فى موضعه منها حتى يختمر ويكمل استعداده للنبات ، وإلا فلو كانت أجزاؤها مائدة متحركة ما حصل نبات البذر فيها ، كما يقولون : الحجر المتدحرج لا ينبت عليه زرع . وبهذا ترى كيف كانت أجزاء الآية متماسكة متصلة أكبر تماسك وأقوى اتصال . والله أعلم ؟

ابراهيم الجبالى

محبة الله عز وجل

ذكرنا فى مقالنا السابق تفسير قوله تعالى : « إن فى خلق السموات والأرض الخ » كلمة عن سعة الملك الالهى الذى يبهر العقل ما فيه من عجائب المصنوعات وبدائع المخلوقات :

إن آيات ربنا بينات ما يمار فيهن إلا الكفور

وقد وعدنا القارئ الكريم أن نكتب كلمة تثير محبة الله من القلوب ، فانا نرى القرآن قد تعرض عقيب تلك الآية التى ذكر فيها دلائل التوحيد لذكر تلك المحبة حيث يقول : « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله » ، وكأنه يشير الى أن محبة المؤمنين تنبنى على معرفة الآيات والدلائل ، بخلاف محبة غيره فانها مبنية على تقليد الآباء واتباع الأوهام والأهواء .

ولنخض بك غمار الموضوع فنقول :

بادر لدرك الذى قدفات من عمرك ولتتخذ زادك التوحيد فى سفرك
أيا مليك الورى يا منتهى أملى ما أشوق السر والمنى الى خبرك
ماظل لى أمل فى غير مشهدكم ولا قرأت كتابا ليس فى سيرك

إذا كنت تحب احدا لما يبهرك من علمه وسعة نظره من علماء الأمم ، فأحب الله تعالى الذى أتقن كل العوالم وأودع فيها من الأسرار ما أدهش فلاسفة أوربا إشراق شعاع من نور شمسه ، حتى قال سبنسر الانجليزى ما ترجمته : « ليس الغرض من علم الطبيعة معرفة تلك الظواهر الطبيعية ، وإنما الغرض الاسمى أن يشرف الانسان على ذلك السر الباهر ، ويستطلع تلك العظمة الالهية من وراء تلك الحدود التى ينتهى إليها علم الطبيعة » .

ويكفيك ما اشتمل عليه الانسان من الأسرار المدهشة التى تكفل بها علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء مما بهر علماء الفزيولوجيا فطأطؤا له الرءوس ، وعشوا أمامه كما يعشو الخفاش أمام الشموس .

وإن كنت تحب أحدا لمزيد شجاعته وعظيم قدرته وحسن تدبيره من القادة والساسة ، فأحب أحكم الحاكمين ، وأقدر القادرين ، وقيوم السموات والأرضين ، ورب العالمين ، ومدبر الخلق أجمعين ، من أمره بين الكاف والنون ، وإذا أراد شيئا فانما يقول له كن فيكون

وإن كنت تحب أحدا لاحسانه ومزيد إنعامه وعظيم تبرزه فى باب الفضل والمكارم ، فأحب منبع النعم ومعدن الكرم . وأين كل ما تتخيله إذا قسته بقطرة من بحار فضله ؟ وماذا

نعدد لك من نعمه أو نسرد عليك من آثار كرمه بعد ما علمت أنه المفيض لكل نعمة فى الوجود، وأنه رب الكرم والجود؟ « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده، وهو العزيز الحكيم » .

ولعمر الانصاف إن هذا المقام يجب أن تتكسر فيه الأقلام، وتخرس فيه الألسن، فلن تطيق شرح نعمة واحدة من نعمه .

وانظر إن شئت لنعمة الهواء التى يتوقف عليها وجود كل حى الى آخر ما يتفرع منها ويتشعب عنها، وإن شئت فانظر الى نعمة الضياء أو الماء، وما أودعه فى الأشياء من الكهرباء بباهر حكمته وعظيم تدبيره « ذلك تقدير العزيز العليم » « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفار » .

وقد أحس بتلك العظمة المدهشة وذلك الانعام الفائض على كل من فى الوجود، ذلك الرجل العظيم صاحب النفس المطلقة من القيود الفيلسوف (لينه) الفزيولوجى الفرنسى الذى كان يدعوه وجدانه فيجيبه، ويناجيه شعوره الحى فلا يتغافل عنه — وهو عندى مؤمن لا محالة — قال : « إن الله الازلى الكبير العالم بكل شىء قد تجلى لى ببديع صنائعه حتى صرت مدهوشا مبهوتا ! فأى قدرة وأى حكمة وأى إبداع أودعه مصنوعات يده لا فرق بين أصغر الاشياء وأكبرها ! إن المنافع التى نستمدها من هذه الكائنات تشهد بعظيم رحمة الله الذى سخرها لنا، كما أن جمالها وتناسقها ينبئ بواسع حكمته، وكذلك حفظها عن التلاشى وتجددها يشعر بجلالته وعظمته ! » .

ولنرجع الى أصل الموضوع فنقول :

إذا كنت تحب نفسك وكمالها، فأحب من أوجدها فى أحسن تقويم، وشق سمعها وبصرها وأسبغ عليها نعمه ظاهرة وباطنة، ولم يقتصر كرمه على إفاضة الضروريات والحاجيات، بل أعطاك من الكماليات ما تتنوع به لذتك وتتم به بهجتك، فليس من الوفاء أن تعرض عنه وقد غمرتك نعماؤه، وأشرق عليك ضياؤه، وعذب لك ماؤه ولطف هواؤه، وأنعشتك بدائع أكوانه : من رياض غناء، وصحار فيحاء، وأثمار شهية، وألوان بهية، ونغمات شجية، ومناظر تطير بالقلوب الى حضرة علام الغيوب، من شموس وأقمار، وأطيار وأزهار، وليل ونهار، أما يجب أن تقول عند رؤية تلك الآيات المدهشات والدلائل الناطقات والنعم الفائضات ما قال ذلك البدوى الذى لم تشغله المدنية وزخرفها عن أن يرجع الى قلبه ويستمع من حديث لبه حيث يقول :

هاج للقلب من هواه ادكار ... وليال خلالهن نهار
وجبال شوامخ راسيات ... وعيون مياههن غزار
ونجوم تلوح فى جنح ليل ... مشرقات فى كل يوم تدار

وشمـوس مضيئـة للـبرايا في نهار وفي الدجا أقمار
ورياح تهب من كل فج وبروق وراءها أمطار
إن شأن الأله شان كبير جـل ربا وجلت الآثار
والذي قد ذكرت دل على الله نفوسا لها هـدى واعتبار

أو نقول كما قال غيره مخاطبا نفسه مستحثا لها على العبرة وإطالة الفكرة حيث يقول :

تبصر حيث كان لك التبصر وفي ذات الاله دع التفكر
وإن ترد المهيمن حين تذكر تأمل في نبات الأرض وانظر
إلى آثار ما صنع المليك

فأنوار المهيمن ساطعات وأفكار الخلائق حائرات
ولكن الأدلة واضحات أصول من لجين زاهرات
على أغصانها ذهب سبيك

شمـوس في البرية مشرقات نجوم في الدياجي لامعات
بطـول الدهر دوما سابحات إلى مالست أدرى طائرات
يطـير بها له الجرم السميك

رياض مـونقات منعشات وألوان لعينك مـدهشات
وأغصان تسرك ناضرات على قضب الزبرجـد شاهـدات
بأن الله ليس له شريك

أو يقول وقد امتلأت نفسه بالوجود الحق ، الذي ظهر في جميع الاشياء ، وتجلى نوره في عوالم الارض والسماء ، وإن غاب عن الأبصار وجل أن يدرك بالأنظار :

ظهر الوجـود الحـق في الأشياء متجليا جهرا بغـير خفاء
إن الوجود عن البصائر غائب من حيث ما هو ظاهر للرائي
والفيء يكشف أن ثمـة شاخصا متحكما فيـه بغـير مراء
فرأيتـه من حيث لم تعلم به وعلمتـه في رتبـة الأسماء
والشمس لا تستطيـع رؤية ذاتها لتألـق فيها وفـرط ضياء

أو يقول ما قال ذلك الرجل الذي رآه ظاهرا في آثاره ظهور الشمس ، وإن تعالى بحقيقته عن العقول :

حسن تراءى في المـرائي وبه تحـير كل راء
والـكائنات جميعها مـوج على صفحات ماء
والأمر أمر واحـد فيـه التقارب والتنائي

والـــكون عـرس زينت ... ذى الارض فيه مع السماء
بكواكب ومواكب ... والنجم خفاق اللواء
والطبل أجسام الملا ... والزمر أرواح الفضـــاء
وصدا جميع الكائنا ... ت أخى من أشهى الغناء
هـو باطـن هـو ظـاهـر ... فاحـذره مـن وجـه الخفـاء
واطلبه من وجـه الظهو ... ر تجـده فى كل المرائى
شمس وكل الخلق فى ... أنوارهـا مثـل الهباء
لكن إذا أنكرتها أصبحت من ... حمقى الخلائق لا من العقلاء
ياقوم كيف عقـــولنا ... لا تضمحل مـن البهاء

أو يقول عند ما يرى الأشجار تتهادى فى حلل الأوراق والأزهار معجبا برؤيتها متعجبا من قدرة خالقها :

ياصاحبى تعجبا لملابس ... قد حاكها من لم يمد لها يدا

فقـل لى بعيشـك هل من الحياء ، والحياء خلق كل كريم ، أن تتمتع بما خلق الله لك من الاضواء والاصباح والامساء ، وما أوجدلك من بديع الاشياء وسخر لك من الارض والسماء ، وكان الأمر على ما يقول عز وجل : «وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة» ثم لا تؤدى شكره ولا تعرف قدره ؟

إنى لأعجب ممن قد رأى طرفا ... من فرط لطفك ربى كيف ينساكا

فان كان لا يؤثر فى نفسك فائض إنعامه ومزيد إحسانه ولا ما هو عليـه من قدرة يتحير فيها الناظرون ، وعظمة لا يصفها الواصفـون ، وعلم لا يعـزب عنـه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ، وحكمة أتقن بها جميع الاشياء ، ولا ما هو متصف به عز وجل من نعوت الجلال وصفات الـكمال ، وكان لا يستولى على نفسك سلطان الحسن الذى تشاهده بعينك أو تلمسه بيدك ، فاعلم أن كل جمال يقع عليه حسك أو يتصل به لمسك فانما هو ظل من ظلال ذلك الجمال المطلق الذى يجل عن الحدود ويتعالى عن القيود ، وليس يعطيك أى مظهر من مظاهره إلا بعض سرائره ، ولا تمثل لك أى مرآة من مراياه إلا بعض مزاياه . وأنى يسع المحدود من لا يقبل التحديد ؟ وكيف لا يضيق المقيد ممن لا يدخل فى سجن التقييد ؟

إن قلت هذا فان الحد يحصره ... أو قلت ذا فكلام لست أدريه
أو قلت عندى جاء الظارف يطلبه ... والظرف حق ولكن ليس يحويه
ما إن رأيت وجودا لست أدريه ... إلا الذى أنا معنى من معانيـه

فطوبى لمن شم عرف شذاه أو شام برق سناه ، وهنيئا لمن شرب قليلا من مدامه ولو مزجا ، أو نظر اليه ولو شذرا ، فاذا لم يدر ما هو تائق اليه ومتلهف عليه قال :

شيء به فتن الورى وهو الذى يدعى الجمال ولست أدرى ما هو

وقد قال بعض الحكماء لتلاميذه : إن الناس كلهم يشتاقون الى الله ، أتدرون لماذا ؟ لأنهم يتوقون الى إصلاح لايتناهى وجمال لا يتناهى وكمال لا يتناهى ، وليس ذلك إلا لله .

فارجع الى سلامة فطرتك ، وحدق بصر بصيرتك ، وطالع ذلك الجمال الالهى الذى تجلى على صفات الموجودات ، واقرأه بين سطور تلك المبدعات ، ثم انظر رعاك الله الى أى حد انتهيت ، ولا أظنك إن كنت رقيق الوجدان لطيف الشعور قوى الاحساس بالجمال إلا وقد وصلت الى معنى يصغر بجانبه اسم الحسن ، إذ تجدك أحسست بجمال لايتناهى ، وغرقت فى بحر من الجلال لا يحد ولا يأتى عليه التعبير :

فطورا فى الجلال على التذاذ وطورا فى التذاذ بالجمال

وعند ذلك ينطق لسان حالك منشدا :

عجبت لعاقل فى الناس أضحى يرى هذا الجمال ولا يهيم

ويترنم بلبل روحك مغردا :

لعمرك كل الحسن من بعض حسنه وما حسن كل الحسن إلا جماله

فاستجل هذا الحسن رعاك الله فى كل شيء تراه من العلويات أو السفليات :

إن شئت فى فلك أو شئت فى ملك أو شئت فى مدر أو شئت فى حجر
فالكل ينطق أن الله خالقه وهو المليك ورب النفع والضرر

وهل الشمس وهى أظهر ما علمت ، وأظهر ما رأيت ، وأجمل ما وقع عليه البصر ، وأبهى ما وصل اليه النظر ، إلا أثر من آثاره ونور من أنواره ، قد كتبت عليها سطور البهاء والجمال ، والعزة والجلال ، فنحن نقرأ فيها قدرة نخر لها ساجدين ، وحكمة نقف أمامها مبهوتين ، وجمالا يذوقه الوجدان وإن كان لا يكيفه ، فتمتلئ به النفوس وإن كانت لا تعرفه ، ونطالع فيها رحمة تجعلنا قائلين بلسان الشاكرين : « تبارك الله أحسن الخالقين » ! وحقه ، وما أكبر حقه ، لو تفرغت من الشواغل التى أخذتك ولم تدع منك شيئا لعشقت فذقت فنطقت فقلت :

تراه إن غاب عنى كل جارحة فى كل معنى لطيف رائق بهج
وفى مساقط أنداء الغمام على بساط نور من الأزهار منتسج
وفى مسارح غزلان الخمائل فى برد الأصائل والاصباح فى البلج
وفى مساحب أذيال النسيم إذا أهدى الى سحيرا أطيب الأرج

عظم والله البرهان وامتلأ الوجدان ووصل الامر الى حد العيان وليس بعد العيان بيان ، ولكن قويت الانوار فغشيت الابصار ! وكل ما اعتيدت مشاهدته وتكررت رؤيته سقط عن القلب وقعه وإن عظم نفعه ، ولكن الهمة أن تكون من المستبصرين لا ممن أخلد الى الارض من الغافلين والجامدين .

خليلي قد طال المقام على القذى — وحال على ذا الحال ياقوم أحوال
يمر زماني بالأماني وينقضي — على غير ما أبغي ربيع وشوال

فاطلب رعاك الله مرافقة سكان الملكوت وعشاق الجبروت . فان كنت تحب أحدا لما بينك وبينه من التشاكل والتناسب فأحب الملأ الأعلى سكان ملكوت الله تعالى فان فيك ما يشاكلهم تمام المشاكلة « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي » . وليس غذاء هذا الجوهر النفيس إلا العلوم والمعارف ، ولا مطالبه إلا الصفاء والهناء ، ولا أمنيته إلا الاطلاق من جميع التقييدات والاطلاع على جميع المغيبات ، وهو من عالم التقديس والتطهير ، ولكنك نسيت عالمك الاول منذ فارقته واشتغلت بمطالب هذا الهيكل الجسماني الذي لا بد له من الفناء ، فأنست بالظلمات وتمرنت على احتمال الآفات :

من يهن يسهل الهوان عليه — ما لجرح بميت إيلام

ولذلك يصف القرآن من هذا حاله بالموت لأنه أمات أفضل غريزة فيه ، بل أمات خاصيته التي هو بها إنسان على الحقيقة ، فيقول : « أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » ؟

وقد استولت عليك هذه المطالب الجسمانية حتى أنستك عالم البهجة والبهاء ، وصرت لاتعرفه ولا تحس به ، وإنه لموطن روحك ومحل أنسك ، وليست الروح تحب هذه الملاذ الجسمانية إلا لأجل بدنها لا لأجل ذاتها . وأما مطلبها الذاتي وغذاؤها الأصلي فهو الأسرار والأنوار . ولما طال بها العهد وهي في سجن الظلمات ومحل الآفات نسيت ماهي مستعدة له ومخلوقة لأجله ، وهو في الحقيقة نسيان لنفسها « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » فكأن لم يكن لها عهد بالصفاء ولا علاقة بعالم الجمال :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا — أنيس ولم يسمر بمكة سامر

أسأل الله أن يعيد لأرواحنا صحتها الأولى ، ويخلصها من أمراضها التي أضعفت منها تلك الحاسة العليا التي هي مناط لذتها الكبرى وشرفها الاعلى وخاصيتها الاولى ، ويرزقنا محبة الله ومحبة الانبياء الذين هم أطباء الارواح وأساتذة النفوس بمنه وكرمه ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالاجابة جدير !

يوسف الدجوي
من جماعة كبار العلماء

أسباب الهجرة النبوية وآثارها

عندما احتفلت مشيخة الازهر برأس السنة الهجرية كان العدد الأول من هذه المجلة قد تم إعداده للطبع ، فلم نستطع أن ننشر فيه كل ما ألقى فى تلك الليلة من الخطب القيمة . فاليوم وإن كانت المناسبة قد زالت فاننا نؤثر أن ننشر خطبة صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد محيي الدين المدرس بكلية اللغة العربية ، حرصا على ما فيها من فوائد تاريخية ، وتفصيلات محلية ، وبيانات اجتماعية . وهى هذه :

لعل حادث الهجرة : هجرة الرسول وأصحابه من مكة ، بلدهم الذى فيه نشأوا ، وموطنهم الذى درجوا منه وألفوه ، وفيه أموالهم وأهلوهم ، ولهم بسكناه شرف وزعامة على سائر العرب ، لأن فيه حرم الله الآمن ، وبيته المطهر من عهد أبيهم إبراهيم ؛ مع ما جبلت عليه طبيعة العربى من حب الوطن وإلفه ، والحرص عليه والذود عنه وتفديته بالأنفس والأموال ؛ الى المدينة ، وهى إذ ذاك بلد وبىء معروف بالحمى ، ولم يسبق لأكثرهم به عهد . لعل هذه الهجرة أظهر الأحداث فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ؛ ولعل أصحاب الرسول أنفسهم كانوا يرونها بهذه المثابة ويقدرون لها هـذا القدر ؛ فانا لنراهم — بعد أن انقضت إقامة الرسول بينهم بما كان فيها من جلائل الأعمال وخطير الأحداث — يعودون اليها وحدها ، فيذكرونها ويتخذونها رمزا خالدا لحياة الاسلام ، ويسجلون ذكراها فى معاهداتهم ومبايعاتهم وسائر شئونهم ، وما يزال المسلمون الى يوم الناس هذا يجدون فى هـذا الحادث من المعنى السامى ما وجده سلفهم فيه ؛ ذلك بأنهم يرون فيه صورة التضحية العظيمة فى سبيل الحق ، والمثل الواضح للجلاد الدائب فى نصرة العقيدة ، والاستهانة بما فى الحياة من راحة ودعة فى سبيل الدعوة الى الله ، ويرونه أخيرا مبدأ الطريق للصيحة العاتية فى وجه الباطل ، والصريخ الملتهب لدحر الظلم والعدوان .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتيه الوحى بالمنزلة التى لا يجحد فيها فضله : من أكرم قريش نسبا ، وأفضلهم بيتا ، وأحسنهم خلقا ؛ فلما جاء قومه بما عرفوا من الحق حال الحسد بينهم وبين اتباعه وتصديقه ؛ فعتوا على الله ولجوا فى كفرهم وعنادهم ، وظهر ما كان مستورا من العداوات القديمة التى كانت بين بطون قريش وبنى هاشم ، وقام رءوس بنى عبد شمس يظاهرهم رءوس بنى مخزوم وغيرهم ؛ فأخذوا يؤرثون العداوة ويثيرون الحفائظ ، ويصدون الناس عن الاستماع لدعوة النبي ؛ فيقول أبو جهل الحكم بن هشام المخزومى : « تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف : أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ،

حتى إذا تحاذينا على الركب قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك مثل هـذه ؟ ! والله لا نؤمن به أبدا » !

لم يكونوا يشكون في صدقه ؛ لأنهم لم يجربوا عليه كذبا قط ، ولأنه ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله ، ولأن هذا الكتاب الذي يتلوه عليهم ويدعوهم الى الايمان به مما لا عهد لآذان بسماع مثله ؛ ولكنهم يخافون أن يظهر أمره ، ويخشون إن آمنوا به أن ينبه ذكره فيخمل ما لهم من ذكر ؛ فكانوا إذا خلا بعضهم الى بعض اعترفوا بالحق وذكروا وجه الصواب فيه ؛ فاذا صاروا في ملأ من الناس كذبوا على أنفسهم وعلى الناس ورموه بالسحر والكهانة والشعر والجنون ، وفي ذلك يقول لهم النضر بن الحارث : « يا معشر قريش : إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة قط ، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ، وكان أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة ؛ حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم : ساحر ، لا والله ما هو بساحر ؛ لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ؛ وقلتم : كاهن ، لا والله ما هو بكاهن ؛ لقد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم ؛ وقلتم : شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها ؛ وقلتم : مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه ؛ يا معشر قريش ، انظروا في أمركم ، فانه والله قد نزل بكم أمر عظيم ! » .

حاولوا أن يغروه أول الأمر بمتاع الحياة الدنيا وزينتها ليرجع عما يباديهم به من الدعوة الى توحيد الله ؛ فيقول له عتبة بن ربيعة : « إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تريد به شرفا سودناك علينا فلا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك » فلا يجيبه على ذلك إلا إجابة الساخر بماعرض عليه ، الموقن بانتصار حقه على باطلهم ، يتلو عليه القرآن ، وفيه الدعوة الى الله والتحذير من عقابه وتسفيه عقول قومه ، فيقول له : « أقد فرغت يا أبا الوليد » ؟ فيقول : « نعم » قال : « فاستمع مني » قال : أفعل ، قال : « بسم الله الرحمن الرحيم . حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرءانا عربيا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا ، فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ، وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون ، قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الى إنما إلهكم إله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه ، وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون» . فاذا انتهى من قراءة السورة قال له : « قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ؛ فأنت وذاك » .

ثم يرفعون أمره الى عمه أبي طالب الذي يظاهره ويدفع عنه ، ويعرضون على عمه مثل ما عرضوه عليه ، ثم يخوفونه عاقبة تماديه في نصرة ابن أخيه ، فيقول له عمه : « يا ابن أخي ،

إن قومك قد جاءونى فى أمرك ، فابق على وعلى نفسك » فيقول له : « ياعم ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هـذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيـه ما تركته ! » ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك عمه وقـد ظن أنه خاذله ، فناداه عمه ثم قال له : « اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشىء أبدا » !

فاذا يئسوا من إغرائه وعلموا أنه صلب القناة ، وأنه جاد فى طريقه غير آبه لما يتهددونه به ، دافعوه بالقوة والـكيد والقطيعة ؛ فأغـروا به سفهاءهم فنالوه وأصحابه بالأذى ، وأعلنت بطون قريش مقاطعة بنى هاشم ، وكتبوا بذلك عهدا علقوه فى الـكعبة توثيقا لأمره بينهم ؛ فـكان لا يصل شىء الى بنى هاشم إلا سرا يستخفى به من أراد صلتهم من قريش ؛ ومشوا الى أختان رسول الله فأمروهم أن يطلقوا بناته ليشغلوه بهن ؛ وهو لذلك كله صابر رابط الجأش شديد الثقة بالله ، عالم أنه لا بد ناصره ومؤيده ، وهو لا يفتأ يأمر أصحابه وقومه بمثل ذلك من الصبر ورباطة الجأش .

فاذا رأت قريش أن ذلك كلـه لا يفت فى عضده ولا يهن من قوته وعزمه ، بيتوا قتله ؛ ولقد هموا بذلك أكثر من مرة ، ولـكن الله تعالى منعه فى كل مرة مما يريدون ؛ فقد اجتمع يوما جماعة منهم ، فقال أبو جهل بن هشام : « يامعشر قريش ، إن محمدا قد أبى إلا ما ترون : من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وسب آلهتنا ؛ وإنى أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله ، فاذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه ، فاسلمونى عند ذلك أو امنعونى ؛ فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم » ! فقالوا : « والله لا نسلمك لشىء أبدا ، فامض لما تريد » . وأبى الله تعالى عليه ما عقد نيته عليه ؛ وأتت أم جميل حمالة الحطب زوج أبى لهب وفى يدها فهر من حجارة تريد أن تلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فما هو إلا أن بلغت المسجد حتى أخذ الله ببصرها فلا ترى إلا أبا بكر رضى الله عنه ، فتقول : « يا أبا بكر : أين صاحبك ؟ فوالله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه » .

وقد كان يشجعه على احتمال هذا الأذى والصبر على ما ينالونه به من المـكاره عمه أبو طالب ، وكان له عضدا وحرزا فى أمره ، وكان له منعة وناصرا على قومه ؛ وزوجه خديجة بنت خويلد التى كانت تواسيه وتدعوه الى الجلد والصبر ؛ فلما ماتا واشتد إيذاء قريش له ، وتفاقمت شرورهم عليه ، ونالوا منه بعدهما ما لم يكونوا ليفعلوه ، فـكر فى الرحلة عنهم ، وتمنى أن يؤذن له بالانتقال ؛ وأراد الله به وبدينه خيرا ؛ فبدأ أول الامر بعرض نفسه على قبائل العرب ، فـكان يخرج اليهم فى مواطنهم أحيانا ، ويتلقاهم فى مواسم الحج أحيانا أخرى ؛ وكان أهل يثرب من الأوس والخزرج أسرع الناس الى قبول دعوته ، لأنهم كانوا قد عرفوا بعض شأنه مما كان اليهود يحدثونهم به

عنه ، فما هو إلا أن ذكر لهم أمره ودعاهم الى الايمان به ، حتى قال بعضهم لبعض : « ياقوم : تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود ، فلا يسبقنكم اليه » .

فأجابوه الى ما دعاهم إليه وصدقوه ، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام ، ورجوا أن يؤلف الله به بين قلوبهم ؛ فلما اعتزموا العودة الى يثرب أرسل معهم مصعب بن عمير بن هاشم ، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الدين ، فكان له أثر عظيم في دعوة أهل المدينة الى دين الله ؛ فلما كان الموسم من العام الثاني لقي النبي ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان من أهل المدينة ، فدعاهم الى الله ورغبهم في الاسلام ، وتلا عليهم القرآن ، وبايعهم على السمع والطاعة في العسر واليسر ، وألا ينازعوا الأمر أهله ، وأن يقولوا الحق أينما كانوا لا يخافون في الله لومة لائم ؛ فلما تم له ذلك وأصبح له أنصار في بلد آخر يرحل إليهم ويأنس بهم ؛ ويطمئن الى جوارهم ، ويمتنع بهم ممن أراده بسوء ، اطمأن الى الهجرة ، وأمر أصحابه الذين كانوا يؤذون في مكة بأن يهاجروا ، وقال لهم : « إن الله قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها » فخرجوا أرسالا ، وأقام هو بعدهم ينتظر إذن الله له بالخروج .

ولم يكن مشركو قريش يحبون أن يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه من بين أظهرهم ؛ لأنهم كانوا يحذرون عاقبة هذه الهجرة ؛ فكانوا كلما رأوا جماعة من أصحابه خرجوا من مكة ، حاولوا إعادتهم ليؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم إن استطاعوا ؛ فان أفلتوهم أخذهم القلق وساورتهم المخاوف . ولقد اجتمعوا يتشاورون في الأمر ويديرون الرأي فيه ؛ فقال أحدهم : « احبسوه في الحديد ، وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله من الموت » فأجابوه : « والله ماهذا لنا برأي ، لئن حبسناه كما تقول ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقنا دونه الى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا علينا فينتزعوه من بين أيدينا ثم يكاثرونا به حتى يغلبونا على أمرنا » وقال قائل منهم : « نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فاذا أخرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع » فقالوا : « والله ما هذا لنا برأي ، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ؟ والله لوفعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ثم يسير بهم اليكم » وإذ ذاك ينبري أبو جهل من بين القوم فيقول : « أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى جليدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ؛ فانهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فرضوا منا بالعقل ، فعقلناه لهم » فاذا سمعوا ذلك من أبي جهل وافقوا عليه ، وتفرقوا وهم مجمعون له ؛ ولكن الله يريد أن ينصر رسوله ويؤيده ويظهر دينه فيأذن لرسوله بالخروج فيخرج وهم ببابه راصدون له متهيئون لتنفيذ قرارهم فيأخذ الله بأبصارهم فلا يرونه .

وكان الذى خافت قريش أن يكون ، نخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، ولو أخرجوه كما قال قائلهم لكان أشرف لهم وأبقى على سمعتهم ، وعصمه الله منهم فلم ينالوا منه ماطمعوا فيه . وكانت لهذه الهجرة المباركة آثارها التى توقعوها ، وآثار أخرى لم تكن تخطر لأحدهم ببال ؛ فقد أصبحوا يخافون أهل المدينة وهم فى طريقهم فى تجاراتهم إلى الشام . وهؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون كل يوم ، وهذا رسول الله بحسن حديثه وكريم أخلاقه وسمو مبادئه ونبيل غايته ، يفعل فى نفوس العرب وعقولهم فعله ؛ وحبه يجرى منهم مجرى الدم من العروق ، حتى إن أحدهم ليرى الرسول أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين ؛ ويقظتهم لما يأتى به وحرصهم على معرفة مبادئه تبلغ الغاية التى لا مطمع وراءها ، فهم يحصون ألفاظه ، ويحيطون بأحواله كلها ، فلا تغيب عن وعيهم حركة من حركاته . وللنبى وأصحابه فى كل حين صرعى من صناديد الشرك وأبطال الضلال ، وأخيراً يجىء هذا الذى آذوه وألبوا عليه وألجأوه إلى الفرار بدينه فيقتحم عليهم مكة ويدخلها ، كما كانوا يخافون ، بمن احتمع إليه من قبائل العرب .

وكان من آثار هذه الهجرة أن هدأت الحال ، وأصبح للمسلمين وجود اجتماعى ؛ فاطرد نزول الوحى على الرسول يضع له ولأمته أسمى ما عرفته الانسانية الى يوم الناس هذا من قوانين العدل والمساواة والحرية ؛ فألف بين قلوب أهل دعوته فأصبحوا بنعمة الله إخوانا ، وهذب نفوسهم وراض ما صعب من أخلاقهم ، وجنبهم حمية الجاهلية الأولى ، وجعل رابطة الدين والعقيدة فوق كل رابطة ، وسوى بينهم فى الحقوق والواجبات ، فلا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، وجعل الكبير صغيراً حتى يؤخذ الحق منه ، والصغير كبيراً حتى يؤخذ الحق له ؛ وضمن حماية العقل والنفس والمال ، وحذر من الفحشاء والمنكر والبغى ، ودعا الى الاخلاص فى السر والعلن ، ولم يترك مبدأ ساميا إلا أخذ الله لنبيه منه بأوفر حظ ، وأرشده الى المثل الأعلى فيه .

فاذا احتفى المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها بذكرى هذا الحادث فانهم إنما يذكرون أثره العظيم فى بناء هذا الدين ، ويذكرون مع ذلك عزيمة قائدهم الأعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعزيمة أصحابه رضوان الله تعالى عليهم ، تلك العزيمة الماضية التى أبت أن تخضع لغير الحق ، واعتصمت بالله وحده ، فأخذ الله بناصرها حتى بلغ بها أسمى مكان .

ونحن نضرع الى الله تعالى فى مستهل هذا العام أن يجعله مقرونا باليمن والبركة على مصر وسائر بلاد المسلمين ، وأن يؤيد برعايته حضرة صاحب الجلالة الملك فاروقا الأول ، وأن يوفق رجال حكومته الى ما فيه خير الامة وسعادتها ، آمين .

محمد محيي الدين عبد الحميد

محمد صلى الله عليه وسلم

فى تقدير قادة الآراء فى العالم (١)

« لنتحول الآن من الكلام عن حياة مؤسس الاسلام الى الكلام عن الاسلام نفسه . وإنما قدمنا بيان حياة مؤسسه لأنه لا يجوز جهل مؤسس أى نحلة عند الكلام عنه ، فان ذلك قلب كل دين والروح المحرك له .

« أما وقد آن لنا أن نتكلم عن الاسلام فان الأصل الذى له المكانة الأولى فيه هو توحيد الله ، وهو أساس كل دين سماوى . أما ما هو خاص بالدين الذى جاء به النبى العربى فى هذا الموطن ، فهو أن توحيد الله يقتضى كونه الملك والمولى والمشترع ، وهو ما نسميه نحن معشر التيوصوفية: إشفارا ، أى الكلمة العليا . فقد تكرر فى القرآن مدلول هذه السورة : « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد» . فهذا هو صميم هذا الدين ، ورسالته السامية . ولكل دين كلمة خاصة يقولها ، ورسالة ذاتية يؤديها . فكما أن الكلمة العليا فى الهند وسنانية هى عمومية الذات الالهية ، فهى فى كل شىء وكل الخلق فيه ، كذلك للاسلام كلمة عليا هى وحدة الله باعتبار أنه السيد المطلق ، ليس له شريك فى الملك ، ولا ثانى يليه فى الدرجة . وإنى لأستطيع أن أستشهد بآيات كثيرة من القرآن على صحة ما أقول ، ولكن ليست الحاجة تدعو الى ذلك فأكتفى بآيتين اثنتين وهما : « الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض ، من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم » . إن جلالة هذه الآية ظاهرة للعيان رغما عن قصور الترجمة عن بلوغ شأوها . اليك الآية الثانية : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم » .

« ثم يلى هذه العقيدة فى الرتبة الاعتقاد بالأنبياء ، لا بنبى واحد فحسب ، ولكن بجميع الانبياء . فقد صرح القرآن فى مواطن كثيرة أنه لا يجوز التفرقة بين الانبياء ، فكلهم مرسلون من قبل الله ، وقد خص كل منهم بأمة ، وقام بما عهد اليه نحوها . وقد دل الكتاب الذى جاء به محمد جملة وتفصيلا على أنه كان يعتقد بجميع المرسلين ، ولا يحاول أن يتدخل فى أعمالهم : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » ، « قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم

---

(١) تابع ما نشرناه قبل هذا من البحث القيم الذى نشرته مدام أنى بيزانت رئيسة جمعيات التيوصوفية العالمية .

وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » ، « إن الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدن أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا ، وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا . والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم ، وكان الله غفورا رحيما » .

« إن ما كان يعنيه النبي من كلمة إسلام تتفق اتفاقا تاما وهذه الروح الحرة التى قمنا باقامة الدليل عليها هنا . فقد كان يقول دائما إنه لا يوجد إلا دين واحد هو الاسلام ، ولكن ماذا يعنى الاسلام وعلى أى مراد كان يطلقه محمد ؟ الاسلام يعنى لغة ، الاستسلام والخضوع ، وفى الاصطلاح الدينى ، يعنى الخضوع لارادة الله . وإذا كان الرسول يقول إنه هو الدين الوحيد الصحيح ، فهو كذلك فى الواقع . ولكن هل هذا يعتبر تجديدا أو جده النبى فى البلاد العربية ؟ اللهم لا ، فانه هو نفسه لا يقول بذلك . فقد جاء فى الكتاب : « إن الدين عند الله الاسلام ، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم » ، « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما ، وما كان من المشركين . إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا ، والله ولى المؤمنين » ، « ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا ، واتخذ الله ابراهيم خليلا » .

« فالاسلام بهذا المعنى وحده يصبح الدين الوحيد فى العالم ، فالناس جميعا على اختلاف أديانهم إذا خضعوا لارادة الله أصبحوا أبناء الاسلام حقا بالمعنى الذى كان يطلقه النبى على هذه الكلمة . ولا يهمنا بعد ذلك إن كان أتباعه قد ضيقوا من هذا المعنى فى الأزمان الأخيرة . وإنى لأشكو الى النبى أتباعه على هذا التضييق الذى ارتكبوه ، كما شكوت النصارى الى المسيح ، والهندوسيين الى الريشيين : « يوم ندعو كل أناس بامامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا » ، « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة ، إن الله على كل شىء شهيد» ، « ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا ، وما أنت عليهم بوكيل . ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم» ، «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات ، الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون »

« كذلك نهى الاسلام عن مخاصمة أهل الأديان الأخرى وإن كانوا على الوثنية ، لأنهم جميعا كما يقول سيحشرون الى الله يوم القيامة فيبين لهم ما كانوا فيه يختلفون . فما أجل هذه العبارة وهى قوله : « الى الله مرجعكم جميعا » والمراد منها أن نترك منازعاتنا حتى يشرق علينا النور

الالهى فتتجلى لنا الحقيقة كاملة لاننا لا نرى منها الآن إلا جزءا . فلنترك منازعاتنا كما يأمر به هــذا الـكتاب حتى ينير العقل الالهى بصائر الناس ليروا كيف لا تمنى العقائد المختلفة إلا عقيدة واحدة .

« لنجاوز الآن هذا الموطن الى المظهر الخارجى للاسلام : فنجد فيه وجوب الايمان بالأربع الملائـكة الأعلين الذين يتولون شئون العالم بأمر من الله ، وهم ميكائيل الموكل بحماية الخليقة ، وجبرائيل المـكلف بابلاغ رسالات الله ، وعزرائيل المعهود اليه قبض الأرواح ، وإسرافيل الذى عليه أن ينفخ فى الصور يوم القيامة ، فهؤلاء الاربع الملائـكة الأعلون يشبهون الديفاراجا عند الهنود Devarâjas . ثم يليهم المبلغون الذين يكتبون أعمال الناس ، وقد خص كل إنسان باثنين منهم ، ويأتى بعدهم جماعات من الملائـكة تحيط بنا من جانب ، وهم ينفذون أوامر الله فى ملـكه ، وينفذون إرادته ، ويرشدون الناس الى الخير ، ويحمونهم من الأخطار ، وهؤلاء يشبهون الديفا Devas عند الهنود . ثم تجىء بعدهم الطبقات السفلية وهم الجن الذين نسميهم نحن معشر التيوصوفيين بالـكائنات العنصرية السفلى ؛ وهم خمس طوائف ، واحدة منها لـكل عنصر من العناصر الطبيعية ، وهذا مطابق كل المطابقة لتعاليم علم الباطن .

« وفى الاسلام أيضا المذهب السباعى كالطباق السبع للسماء ، والدركات السبع لجهنم ، كما هو الشأن فى التعاليم الظاهرية لـكل دين .

« وأخيراً نجـد ذكرا عن إبليس الذى عصى أوامر ربه هو وقبيله من الجنة العاصين ، وقد أهبط الى الارض وصار أميرا للاهواء وعدوا للناس أجمعين .

« لنتكلم الآن عن واجبات الفرد فى الاسلام : فأولها وأعلاها قيمة هى الاستقامة . وقد ورد فى هذا الموضوع آية جليلة القدر أتلوها عليكم وهى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولـكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ، والملائكة والـكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والمـوفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » . وآية أخرى وهى : « إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظـكم لعلـكم تذكرون » . وآية ثالثة وهى : « ألم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين ، وهديناه النجدين ، فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة ، أو إطعام فى يوم ذى مسغبة ، يتيما ذا مقربة ، أومسكينا ذا متربة ، ثم كان من الذين آمنـوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة ، أولئك أصحاب الميمنة » . وقد خطب النبى محمد فقال : « إن أفضل ما يدخره الانسان لمعاده ، هو ما يسديه من الخير لاخوانه

فى هـذه الحياة . فانه إذا مات ابن آدم تساءل النـاس ماذا أخر ، وتساءل الملائكة فى القبر ماذا قدم ؟ » .

« ومما يحسن بكل باحث فى هذا الدين أن يفعله هو أن يتذكر الحالة التى وجد النبى عليها أمته ، وهى الحالة التى وصفناها فى مقدمة هذه المحاضرة ، وأن يتذكر أيضا بعد ذلك أن هذه الامة نفسها قد عملت بما وصاها به من هذه التعاليم .

(مجلة الأزهر) : لقد وصلت السيدة الجليلة (أنى بيزانت) الى فهم معنى الاسلام كما يفهمه أهله ، ولكنا نأخذ عليها أنها اتهمتهم بتضييق معناه ، ولعلها تؤاخذهم جميعا بما وجدت عليه طائفة من غلاتهم فى الهنـد أو غيرها . وقد سبق لها أن قالت فيما نشرناه لها فى العدد العاشر : « احكموا على الاديان بالنظر الى سيرة أرقى ممثليها ، لا الى انحرافات أحط الآخذين بها » . ونحن نطالبها بالجرى على هذه القاعدة التى وضعتها .

أما قولها : « كذلك نهى الاسلام عن مخاصمة أهل الاديان الاخرى وإن كانت على الوثنية ، لأنهم جميعا سيحشرون الى الله يوم القيامة فيبين لهم ما كانوا فيه يختلفون . » فان كانت تقصد بالمخاصمة هنا مقابلتهم بالعدوان ، ومعاملتهم بالعسف ، فهى مصيبة فيما تقول ، وإن كان غرضها ترك دعوتهم الى الهدى ، وإنارة بصائرهم لتعرف الحق ، على أسلوب لا يثير نفوسهم ، ولا يجرح كرامتهم ، فيكون فى قولها صد عن بث النور فى المتأشبين فى الظلام البهيم وقد وضع الاسلام لبث هذا النور بين المحرومين منه قاعدة لا يعقل أن يكون أعدل منها وهى قوله تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » . وليس بث أية دعوة بالحكمة بمستنكر فى الذوق العام ، بل هو أمر لابد منه ، فان أمر الانسان قد بنى على فهم الحقائق وتعرفها ، ودوام الترقى فى تذوقها ، لا على الجمود والتحجر انتظارا ليوم القيامة حيث يبين الله للناس فيه ما كانوا فيه يختلفون .

محمد فريد وجدى

رذيلة السعاية

سأل رجل عبد الملك بن مروان الخلوة . فقال لأصحابه : إذا شئتم فقوموا . فلما تهيأ الرجل للكلام قال له عبد الملك : إياك أن تمدحنى فأنا أعلم بنفسى منك ، أو تكذبنى فانه لا رأى لكذوب ، أو تسعى الى بأحد ، وإن شئت أقلتك . فقال الرجل : أقلنى يا أمير المؤمنين وانصرف .

النقد الادبي

في صدر الاسلام

النقد يرجع في حقيقته العامة الى غريزة حب الاستطلاع ، والكشف عن حقائق الأشياء التي تقع تحت حواسنا ، فهو مركوز في الفطرة الانسانية منذ خلق الله في الناس إحساسا وشعورا ، وعقلا يميزون به بين الخير والشر ، والحق والباطل ، والضار والنافع ، وكان نظام الحياة العام وما جرت به سنن الله تعالى في الكون يوحي الى الطبائع الانسانية النقد الفاحص والنظر المميز في ظواهر الوجود التي تغمر الانسان أول ما يتصل بالحياة ، ليتعرف منها ما يلائم خصائصه .

والنقد الأدبي نوع من هذا النظر ينصب على الآثار الادبية لمعرفة موافقتها لأصول الكلام الجيد وما تشتمل عليه من معنى جميل مستحسن ، أو رذل مستهجن ، ومقدار صلة هذا المعنى بالحياة ، ومعرفة ما أضاف اليها من صور جديدة ، أو ما كشف عنه من مناحيها المجهولة ، وتبيان الاثر الذي يحدثه في نفس القائل أولا ، والسامع ثانيا ، وما قيمته من الصدق والشعور ؟ وفي أي طرز وضع ؟

وإذا كان لا بد لنا من سلوك طريق التعريف فنستطيع على هذا الأساس أن نعرف « النقد الأدبي » بأنه : « النظر في الآثار الادبية وتحليلها لمعرفة موافقتها لقوانين البلاغة ، وما فيها من المعاني ، وما لها من الاثر للوصول بالادب الى غايته من الكمال » . ولا شك أن هذا النحو من البحث لم يعرف لدى عامة العرب قبل الاسلام قائما على قوانين علمية ، وقواعد فنية ، وإنما عرفت عنهم خطرات فطرية ، وسانحات سليقية ، كالذي يحكيه الرواة عن « طرفة بن العبد » وقد سمع « المسيب بن عنس » يقول :

وقد أتناسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم

فقال : «استنوق الجمل» . قال في اللسان : والصيعرية اعتراض في السير ، وهو من الصعر ، والصيعرية سمة في النوق خاصة ... ولما سمع طرفة هذا البيت من المسيب قال : استنوق الجمل ، أي أنك كنت في صفة جمل ، فلما قلت « الصيعرية » عدت الى ما توصف به النوق .

أما خاصة الشعراء الذين عرفوا بالتنقيح كزهير والحطيئة فذهبهم في الشعر يدل دلالة قوية على أن لهم منهجا في نقد الكلام غير السليقة المجردة ، ولكنا لا نستطيع تحديد ذلك المنهج تحديدا علميا لاننا بعيدون عن أن نجد قاعدة ثابتة يقوم عليها عندهم ، وكل الذي نعرفه أن نفرا

من شعراء الجاهلية كانوا يحفلون بأشعارهم وينقحونها تنقيحا يذهب ببعضها ويبقى على بعضها ، ثم تظهر للناس فى صورة يرضى عنها الشاعر ويطمئن الى نسبتها اليه . قال أبو هلال العسكرى : « وكان هذا (التنقيح) دأب جماعة من حذاق الشعراء المحدثين والقدماء ، منهم زهير ، كان يعمل القصيدة فى ستة أشهر ، ثم يهذبها فى ستة أشهر ، ثم يظهرها ، فتسمى الحوليات . وكان الحطيئة يعمل القصيدة فى شهر ، وينظر فيها ثلاثة أشهر ثم يبرزها » . فذلك التهذيب من زهير فى ستة أشهر ، وهذا النظر من الحطيئة فى ثلاثة أشهر ، لابد أن يكون قائما على شىء أزيد من السليقة والفطرة .

ومهما يكن فالنقد الأدبي كان معروفا عند العرب قبل الاسلام معرفة عامة لاتتضح معالمها إلا بمقدار ما سمحت به الحياة إذ ذاك . فلما نزل القرآن الكريم ، وفتح على العرب أبوابا فى المعاني والحقائق جديدة ، تناولت التشريع والعقيدة ، والسياسة ، والاجتماع ، والأخلاق ، والأدب ، وكان فى أسلوبه طرزا فريدا لا يبارى ، اتخذه فصحاء العرب نبراسا لأساليبهم الأدبية ، وتأثروه فى كلامهم ، وإلى جانبه البلاغة النبوية لها من المميزات والخصائص ما ليس لغيرها من كلام البشر ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان أنفذ الناس بصيرة ، وأحمدهم مذهبا ، وأعرفهم بطرائق الخطاب ، ومواقع الكلام من النفوس ، وهو القائل : « إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكمة » ، والقائل : « إياى والتشادق » ، وفى حديث آخر : « إن أبغضكم الى الثرثارون المتفيهقون » ، وروى أن رجلا تكلم بين يديه فى شأن جناية على جنين فقال : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح فاستهل ، أليس ذلك دمه قد يطل ؟ فقال النبي صلوات الله عليه : أسجعا كسجع الكهان ؟ ! وهذا نحو من النقد الادبي البارع ، فانه صلى الله عليه وسلم لم يحمد من المتكلم هذا المذهب فى الكلام لما فيه من التكلف والغثاثة ، وكد النفس من غير موجب .

وذكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب : من يحمى أعراض المسلمين ؟ فقال كعب : أنا يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : إنك تحسن الشعر ، وقال حسان : أنا يا رسول الله ، قال : نعم اهجهم أنت فسيعينك روح القدس ، وهذه موازنة صامتة بين شاعرى الاسلام ، والموازنة من أخص ضروب النقد فى الأدب ، والنبي صلى الله عليه وسلم معلم ومرشد ، يعلم أمته الحكمة ، ويرشدها الى طرائق الخير ، فى أفعالها وأقوالها ، فكما طهر عقيدة الأمة ، وجاءها بأكمل شريعة ، أدبها فى مناهج خطابها ، وأرشدها الى أفضل أساليب الكلام بما جبله الله عليه من السمو فى هذا المقام .

وقد جرى أصحابه على سنته ، فكان فيهم ناقدون عبقريون ، لم يشغلهم الدين عن الدنيا ، ولا صرفهم علم الشريعة عن النظر فى الادب ، فهذا عمر بن الخطاب ، وهو من هو فى الدين

وسياسة الامة : كان من آدب الناس وأنقدهم ، روى أنه قال لابن عباس : أنشدنى لأشعر شعرائكم ، قال : من هو ؟ قال الذى يقول :

ولو أن حمداً يخلد الناس أخلدوا ولكن حمد الناس ليس بمخلد

قال ابن عباس : ذاك زهير ، قال : فذاك أشعر الشعراء ، قال : وبم كان أشعر الشعراء ؟ قال : لأنه كان لايعاظل فى المنطق ، وكان يتجنب وحشى الكلام ، ولم يمدح أحدا إلا بما فيه .

وهنا نحب أن نقف مع القارىء الاديب قليلا لنتأمل فى هذا القانون الذى استنه عمر ابن الخطاب فى النقد الادبى ، فهو يرى أن مقياس الجودة فى الادب التجافى عن التعقيد والتمويص فى المعانى ، والتزام السلاسة والسهولة فى التعبير ، وصدق الاحساس والشعور ، وهذه الاسباب الثلاثة هى جماع الاصلاح الادبى التى يجب أن يقوم على أساسها النقد حتى يؤتى ثمرته المرجوة .

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه أديبا حكيما ، وناقدا صيرفيا ، قال السيوطى فى المزهر : وكان أبو بكر رضى الله عنه يقدم النابغة ، ويقول : هو أحسنهم شعرا ، وأعذبهم بحرا ، وأبعدهم قعرا ، وهو مذهب فى النقد يتجه بالشعر الى عمق التصوير ، والوصول بالمعانى الى غاياتها ، وحلاوة الرنين الموسيقى فى الألفاظ ومناسبة الوزن للمعنى . أما على كرم الله وجهه فحسبك به من أديب خبير وناقد بصير ، قال صاحب العمدة : حكى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال : لو أن الشعراء المتقدمين ضمهم زمان واحد ، ونصبت لهم راية ، فجروا معا ، علمنا من السابق منهم ، وإذا لم يكن ، فالذى لم يقل لرغبة أو لرهبة . فقيل : ومن هو ؟ فقال : الكندى ، قيل : ولم ؟ قال : لأنى رأيته أحسنهم نادرة ، وأسبقهم بادرة . هذه الشرعة فى النقد المبنى على الموازنة بين الشعراء من أصدق وأحسن قواعد النقد ، لأن اجتماع الشعراء فى زمان واحد معناه تساويهم فى التأثر بروح العصر ، والبيئات العامة والخاصة ، ونصب راية لهم فى تسابقهم معناه اتفاق الغرض حتى تصح الموازنة ، وإذا لم يكن ذلك فالميزان الصادق ، الشعور وصدق العاطفة ، وعدم الرغبة أو الرهبة بالنظر الى عوامل خارجية عن ضمير الشاعر . ولايتسع لنا المقام لاستقصاء الروايات الادبية التى تنسب الى كثير من أجلاء الصحابة فى النقد الادبى : كابن عباس ، والسيدة عائشة ، وعروة بن الزبير وسواهم ، وحسان ابن ثابت على براعته فى الشعر فانه كان ناقداً حاذقا ، قيل له : لان شعرك فى الاسلام ، فقال : إن الاسلام يحجز عن الكذب . وعرف له سيدنا عمر بن الخطاب هذه المكانة الأدبية فكان يحكمه فى مواقف الهجاء . روى أن النجاشى الشاعر هجا بنى العجلان ، فاستعدوا عليه عمر ، فقالوا : يا أمير المؤمنين لقد هجانا النجاشى ، فقال : وما قال ؟ فأنشدوه :

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر : إنما دعا عليكم ولعله لا يجاب له ، فقالوا : إنه قال :

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر : ليتنى من هؤلاء ، قالوا : فانه قال :

ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراد عن كل منهل

فقال عمر : ذلك أقل للزحام ، قالوا : فانه قال :

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

فقال عمر : كفى ضياعا من تأكل الكلاب لحمه ، فقالوا : فانه قال :

وما سمى العجلان إلا لقولهم خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر : كلنا عبد ، وخير القوم خادمهم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين هجانا ، فقال : ما أسمع ذلك ، فقالوا فاسأل حسان بن ثابت ، فسأله ، فقال حسان : ما هجاهم ، ولكنه سلح عليهم .

وهذه القصة إذا صحت تفيد أموراً من العلم والأدب ، فان عمر رضى الله عنه كان فيها رجل الاسلام الذى لا يريد تأريث العداوات بين بطون العرب وقبائلهم ، وهو أعلم بأن النجاشى هجا بنى العجلان هجاء جاهليا ممضا ، فهم فى جاهليتهم كانوا يرون المثل الأعلى فى نحو قول زهير :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وكأنه رضى الله عنه كان يريد توجيه أفكار الشاكين فى رفق ولطف الى مبادئ التسامح وترك العنجهيات ، وهو فى حديثه معهم يجعل نفسه محلا لهذا ، فيقول : ليتنى من هؤلاء ، ويقول : كلنا عبيد ، وخير القوم خادمهم ، أما حسان فكان فى حكمه أديبا فنيا ، وشاعرا يعلم مواطن الاصابة والألم فى الكلام تطبيقا على المألوف من العادات .

وروى أن ابن عباس سأل الحطيئة : من أشعر الناس ؟ قال : من الماضين أم من الباقين ؟ قال : من الماضين ، قال الذى يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

وما بدونه الذى يقول :

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أى الرجال المهذب

ولكن الضراعة أفسدته ، كما أفسدت « جرولا » يعنى نفسه ، والله لو لا الجشع لكنت أشعر الماضين . وأما الباقون فما أشك أنى أشعرهم ، قال ابن عباس : كذلك أنت يا أبا مليكة .

وموضع الدقة فى مذهب الحطيئة النقدى عرفانه بأثر الجشع فى إفساد الفطرة الانسانية ، وقتله للاباء والكرامة ، مع صراحته فى الاعتراف به على نفسه ؟

صادق ابراهيم عرجون

الفقه الاسلامى

إنشاء مجمع فقهى ملكى لخدمته — إيجاد دائرة معارف منه
اقتراح على مشيخة الازهر الجليلة

يدعونى ما نشرته مجلة الازهر الشريف فى عددها الصادر فى المحرم سنة ١٣٥٦ لحضرة العلامة الجليل مدير تحريرها تحت عنوان « جمع المذاهب الفقهية » ولحضرة القانونى الكبير الدكتور عبد السلام ذهنى بك المستشار تحت عنوان « التوثب للنهوض الفقهى » الى أن ألقى بدلوى فى الدلاء ، وأعرض ما يلى :

ما من ريب فى أن الفقه الاسلامى محيط أعظم لا ساحل له ، ولا تبلغ أكبر دائرة من دوائر المعارف القانونية الاوربية بالنسبة له غير بحيرة الى هذا المحيط .

حوى هذا الفقه من النظم والاحكام ما يكفى المجتمع البشرى فى التشريع فى كل زمان ومكان . وما من حكم عادل أو نظام صالح إلا ولعالم من علماء المذاهب الفقهية قول فيه .

ومع غنى هـذا الفقه وإحاطته التى لا نظير لها لم يعن به المتأخرون ، ولم ينظموه التنظيم الحسن الذى يمكن من الاستفادة منه بسهولة ، ولم يعرضوه العرض المشوق الذى يدعو الى الرغبة فيه والاقتباس منه ، لأنهم لو عنوا به لألفوا منه دائرة معارف فقهية خاصة بكل مذهب ، ودائرة معارف كبرى تحيط بجميع المذاهب بأدلتها ، وتجمع جميع الفتاوى والأقوال منسقة تنسيق دوائر المعارف القانونية الاوربية ، لتعين الباحث وتسهل له المراجعة ، وتوفر له الوقت والمجهود ، ويقف منها القارئ فى دقائق معدودة على ما قاله العلماء فى نحـو أربعة عشر قرنا فى المعنى الذى ينشده من غـير أن يتكبد المشاق ويضيع الوقت الطويل فى مراجعة عشرات المجلدات للوصول الى ذلك المعنى المنشود كما هو حاصل الآن .

فاذا كان السالفون لم يفكروا فى وضع دائرة معارف فقهية خاصة بكل مذهب ، و « دائرة المعارف الفقهية » الكبرى المحيطة بجميع المذاهب ، فان الناس فى هذه الايام يتوقعون أن يقـوم الازهر الشريف ، فى عصر مليكنا المفدى فاروق الاول ، وعلى يد مولانا الاستاذ الاكبر والامام المصلح الشيخ المراغى بهذا الواجب ، وسد هذا النقص .

فان فضيلة مولانا الامام ، وهو من أركان النهضة ، وفى مقدمة رجال الاصلاح ، وقد عرف بالمسارعة الى عمل كل ما فيه الخير والرقى والتقدم ، هو الذى يستطيع أن يعمل على إصدار مرسوم بانشاء « المجمع الفقهى الملكى » على مثال المجمع اللغوى الملكى لخدمة الفقه الاسلامى

وإنشاء دوائر المعارف الخاصة والعامة منه ، وهو الذى يمكنه أن يرصد المبالغ فى ميزانية الازهر سنويا للقيام بهذا العمل العلمى الجليل . وهو الذى يمكنه أن يكلف علماء كل مذهب فى الازهر بانشاء دائرة معارف خاصة بمذهبهم ؛ وهو الذى يستطيع أن يكون اللجان الرئيسية والفرعية من علماء الازهر الشريف ورجال القضاء والقانون الذين اطلعوا على دوائر المعارف القانونية فى اللغات الاوربية ، ويقسم أبواب الفقه على هذه اللجان ليساهم كل فى هـذا العمل العظيم الشأن الذى لم يوفق أحد من قبل للقيام به ، مع أن الفقه وطلابه الباحثين فيه ، وعالم التشريع والقانون فى شدة الحاجة اليه .

إنى أتقدم بهذا الاقتراح لحضرة صاحب الفضيلة مولانا الاستاذ الامام المصلح الاكبر شيخ الازهـر الشيخ المراغى ، فانه كما قال الاستاذ رئيس التحرير هو الذى يقـدر عظمة هذا المشروع حق قدره ، ويستطيع بما أوتيـه من اطلاع بعيد المدى على أسرار الشريعة ، وقدرة فائقة على تذليل العقبات ، أن يهون كل صعب فى سبيل تحقيقه .

ولقد تشرفت بعرض هـذا الاقتراح على فضيلة مولانا فى سنة ١٩٣٥ فتفضل بتشجيعى عليه ، وإبداء الارتياح منه ، مما يدل على ان فضيلته فكر فى هـذا الموضوع قبل أن يفـكر غيره فيه ، وأنه عازم على تنفيذه من غير أن يطلب أحد منه ذلك ، متى رأى أن الوقت قد ان للشروع فيه .

أبقاه الله وأدامه ، وأعز به الاسلام والمسلمين !

السيد عفيفى
بمحكمة مصر الشرعية

من حديث الاجواد

بينا خالد بن عبـد الله القسرى جالس فى مظلة له إذ نظر الى أعرابى يخب به بعيره مقبلا نحوه ، فقال لحاجبه : إذا قدم فلا تحجبه ، فلما قدم أدخله عليه ، فسلم وقال :

أصلحك الله قـل ما بيـدى   فما أطيـق العيال إذ كثروا
أناخ دهر ألقى بكلـــــكله   فأرسـلونى إليك وانتظـروا

فقـال خالد : أرسلوك وانتظروا ، والله لا تنزل حتى تنصرف إليهم بما يسرهم ، وأمر له بجائزة عظيمة وكسوة شريفـة

وخرج رجل من الشعراء الى يزيد بن حاتم ، فلما بلغ مصر وجده قد مات ، فقال فيه :

لئن مصر فاتتنى بما كنت أرتجى   وأخلفنى منها الذى كنت آمل
فما كل ما يخشى الفتى بمصيبه   ولا كل ما يرجو الفتى هو نائل
وما كان بينى لو لقيتك سالما   وبين الغنى إلا ليال قـلائل

استحضار الارواح فى أوربا

نشرت مجلة الدنيا الاسبوعية حديثا عن حضرة الاستاذ الكبير ابراهيم الهلباوى بك المحامى، ذكرت فيه أنه لما شخص الى أوربا فى سنة ١٨٩٥ رأى هو ولطيف سليم باشا رحمه الله، أن يجربا مسألة استحضار الأرواح التى شاعت فى أوربا من سنة ١٨٤٧ وحققها علماء كثيرون هنالك واعتقدوا صحتها، فقصدا الى وسيطة مشهورة فى باريز، فجلست وهما معها حول منضدة واضعة يديها عليها، وفعل لطيف باشا مثل ما فعلت، ولم تمض هنيهة حتى وقعت فى غيبوبة، ثم أفاقت وقالت للاستاذ: ها هى الروح التى طلبت فى نفسك أن تحضر قد حضرت. فسألها: روح من هى؟

فقالت: روح محمد.

فسألها: أهى روح محمد توفيق باشا؟

فقالت: لا، ولكن روح محمد النبى، وأخذت تصفها بأوصافها التى وردت عنها فى كتب السير. ثم قالت لهما: سلاها ما شئتما.

قال الهلباوى بك: فحرت فى أمرى، واعترانى تهيب عظيم، لم أملك معه قياد نفسى، ولم أستطع أن أنبس بكلمة. فقلت للطيف باشا: كلمها أنت. فاذا به قد اعتراه مثل ما اعترانى فلم يزد على أن قال: يا ... ر ... سو ... ل الله. ثم أرتج عليه وصمت.

فلما شق علينا الأمر، استعفينا الوسيطة من الاستمرار، معتذرين بما أصابنا من حرجنا.

قال فلما كان اليوم التالى أعدنا الكرة، وعزمت على أن أستحضر روح زوجتى. فكان من الوسيطة ما كان بالأمس من الغيبوبة ثم الافاقة. وقالت لى: هاهى الروح التى طلبت فى نفسك أن تكلمها. فقلت ما اسمها؟ قال: فأخبرتنى عن اسم زوجتى المتوفاة. ثم أخذت تفيض فى وصف صورتها، فلم تخطئ فى شيء من حليتها، وهى لا تعرف عنها شيئا قبل ذلك.

قال: فكلمتها بما أردت وصرت من ذلك اليوم أعتقد بصحة استحضار الأرواح.

ثم قال: فلما عدنا الى مصر أخبرنا معارفنا بما شاهدناه، وكان منهم بطرس غالى باشا، فوعى ما قلناه، ولما ذهب الى باريز قصد الى تلك الوسيطة وغيرها، وتحقق من صحة اتصال الاحياء بعالم الموتى.

ثم قال: ولم يقف لطيف باشا عند هذا الحد، فتوصل الى إيجاد وسيط واتفق أن كان خادما عنده، فحضرت إحدى تجاربه معه وطلبت فى نفسى أن تحضر روح على بن أبى طالب،

فقال الوسيط : هاهى قد حضرت . فكلمتها فكان جوابها كلاما عاليا من نوع الكلام المعزو الى على بن أبى طالب فى نهج البلاغة ، وكان الوسيط أميا .

ثم ختم الاستاذ الكبير حديثه بأنه من المؤمنين بامكان مناجاة الأرواح ، بعد ماظهرت له صحتها بالدلائل المحسوسة ، وأن هذه المسألة سيكون لها تأثير كبير فى العالم .

هذا ما نشر من حديث شيخ المحاماة فى مصر ، وما كاد يذيع بين القراء حتى وافانا من غير واحد منهم سؤال عن مبلغ مسألة اتصال الاحياء بالارواح من الصحة ، وعن حكمها من الدين ، فلم يسعنا إلا إفاضة الكلام فيها نزولا على إرادة حضرات السائلين ، فنقول :

أصل هذه المسألة من التاريخ :

أثبت التاريخ أن مناجاة الأرواح كانت معروفة لدى القدماء منذ ألوف من السنين . فقد تبين أن المصريين والصينيين والهنديين وغيرهم كانوا يتصلون بأرواح الموتى ، ويخاطبونهم على نحو ما عليه الحال فى أوربا الآن ، وقد بلغوا فيها شأوا أبعد مما بلغناه فى هذا العصر . ولا تخلو أساطير أمة فى الأرض من ذكر ظهور أرواح الموتى للأحياء ، بل لا يخلو بلد فى الأرض من حوادث ، تروى عن ظهور كائنات مجردة عن المادة للناس فى دور مأهولة أومهجورة أو خارجها فى الخلوات والطرقات . ولكن العلم لم يكن يعبا بكل ذلك ، ذهابا منه أنها من توليدات الخيال ، وأوهام الجهال .

فلما كانت سنة ١٨٤٧ حدثت ضجة فى صحافة أمريكا حول حادث ظهور روح فى بيت ، وثبوت ظهورها لرجال الشرطة والنيابة . فأغرى ذلك كثيرا من رجال العلم والسياسة والقضاء الى التحقق من هذا الأمر ، فكان كل من يزور أسرة المستر فوكس فى بيتها بمدينة هيدسفيل بقرب نيويورك ، يشهد حوادث لا يجد الى إنكارها من سبيل ، ويعلن ما رآه غير خاش فى الحق لومة لائم . من هؤلاء المشترع أدموندس Edmonds رئيس مجلس الشيوخ الأمريكى ، والاستاذ (ميبس) Mapes أستاذ الكيمياء بالمجمع العلمى . والاستاذ (روبيرت هير) R. Hare وغيرهم من كبار المفكرين ، ولم يكتفوا بما اعتقدوه فى أنفسهم ، كما فعل إخواننا المصريون الذين رأوا بعض حوادثها ، بل نشر كل منهم بحثه على رءوس الأشهاد . حتى أنه لما اشتدت لهجة الجرائد فى حق المشترع أدموندس ، كان عليه إما أن يترك هذه المباحث أو يستقيل ، فاستقال من منصبه الخطير وعرض بنتيه للتجارب ، وكانتا قد ظهرت فيهما خاصة الوساطة . وهكذاتفوز الحقائق بالظهور فى بلاد الغرب ، وتجد لها جوا صالحا للازهار والاثمار ، وتخفى فى الشرق وتنطمس معالمها ولا تجد لها نصيرا .

لم يكن ما أثبته الباحثون فى منزل المستر فوكس أن الحادثة تنحصر فى حدوث طرقات واضطرابات لايمكن تعليلها إلا بنسبتها الى عالم غير منظور ، ولكنها تتجاوز ذلك الى التفاهم

بين أفراد من ذلك العالم وبينهم . فقد اتفقت مدام فوكس ومحدث الاضطراب على الجواب بواسطة الطرق : طرقة واحدة للنفى ، وطرقتان للاثبات ، ثم سألته قائلة : هل أنت روح ؟ فأجابت أن نعم ، بواسطة طرقتين . وما زالت تسا لها وهى تجيب بنعم ولا ، حتى علمت منها أنها روح ساكن سابق لهذه الدار ، قتله جار له وسلب ماله ودفنه بجوار جدار فيه . فما وسع مدام فوكس إلا أن أشهدت على هذه الاجابات بعض الجيران ، ثم قصدت الى دار الشرطة وأخبرت رئيسها بما حدث . واتفق أن إدارة الشرطة كانت تبحث عن مفقود كان يسكن منزل مدام فوكس قبلها فلم تهتد اليه . فشخص الضابط الى تلك الدار على رأس كتيبة من رجاله وحاصرها من كل مكان ، واحتل بعض أفراد الكتيبة السطح والغرف المجاورة . ولكن على الرغم من كل هذه التحوطات أحدثت الروح الطرقات ، وأجابت على كل ما وجه اليها من السؤالات ، ودلت على القاتل . فلم يسع ضابط الشرطة إلا أن أبلغ الخبر الى النيابة ، فحضر بعض رجالها واتخذوا ما أمكنهم اتخاذه من التحوطات ، وسمعوا أقوال الروح . وألقى القبض على المتهم فاعترف بجريمته

وكان لمدام فوكس بنتان ، أكبرها فى الرابعة عشرة ، أنستا بهذه الروح فكانتا تبادلانها السؤال والجواب ، ثم اتفقتا وإياها على طريقة أخرى للتفاهم ، وهى أن تسرد واحدة منهما حروف الهجاء ، فتطرق الروح طرقتين عند كل حرف تريده ، وتتولى الأخرى إثباته على الورق حتى ينتهى ما تريد الافضاء به ، ثم تركب من تلك الاحرف المنثورة كلمات ، ثم تقرأ فيكون الجواب .

أمضت البنتان فترة من الزمن وهما تشتغلان بمداعبة الروح بالمسائل التافهة ، فما راعهما إلا أنها قالت لهما يوما : إنها لم تتكلف الظهور لهما إلا لأجل أن تقوم بواجب خطير ، البشر فى أشد الحاجة إليه فى هذا العصر ، وهو أن تثبت هى وأخواتها اللاتى كانت تأتى معها ، للذين لا يعتقدون بحياة الأرواح بعد الموت ، أن الأرواح حية ترزق ، وأنها فى عالم أرفع من هذا العالم . وعلى هذا فهى تكلف البنتين بأن تعلنا فى الصحف عن حفلة روحية تقيمانها فى إحدى حجر المحاضرات العامة . ومتى حضر الناس وجلسا على المسرح قامت الروح باحداث خوارق مدهشة ، تثبت بها للنظارة أنهم من إلحادهم فى ضلال مبين ، وأن عالم الأرواح حق لا شبهة فيه .

فريعت البنتان من هذا الطلب ، وكبر على أمهما أن تعرضهما لتهمة الشعوذة ، فأجبن الروح مجمعات بعدم إمكان قبول طلبها .

فأجابتهم الروح قائلة : إذا كان الأمر كما تقلن ، فانى لن أحضر اليكم بعد اليوم ، وودعتهن وانصرفت . وانقطع اتصالها بهن . ووجد البنتان وحشة من فراقها لهما ، وكانتا تأنسان بالاتصال بها كل الأنس . وفكرتا فى تعديل الطلب وجعله أقل تعرضا لنالة الجماهير .

وطلبنا الروح فحضرت ، فقالتا لها : إن التعرض للجماهير علينا امر لم تتعوداه ، وقد رأتا مرضاة لصديقتهما الروح أن تتوسطا فى الأمر فتجلسا فى حفلات تتخذ فى أبهاء دور بعض الأسر الكبيرة .

قبلت الروح هذا الاقتراح فكانت الاسر الكبيرة تدعو الاختين ، فتقبلان الدعوة وتجلسان بين سائر المدعوين من علية الناس ، فتحدث خوارق تحمل من يراها على التصديق بعالم الارواح .

وقد تبين من اتصال الروح بهاتين الفتاتين ، ومما عمله العلماء من البحوث فى هذه الأمور ، أن الاتصال بعالم الأرواح لايمكن أن يكون إلابوسيط آدمى ، فيه استعداد خاص لأن تستمد منه الروح مادة تستطيع معها أن تؤثر فى الاشياء تأثيرا يحس به الاحياء . وقد يكون الوسيط هو المجرب نفسه ، كما تبين للكثير من كبار الرجال ، فقد اتضح أن الاستاذ الطبيعى (مورجان) والكاتب الفيلسوف (وليم ستيد) ، والعالم اللاهوتى ستنتون موزس ، وسطاء ، وكلهم من أعيان الانجليز ، وأن بنتى أدموندس رئيس مجلس الشيوخ الامريكى ، وامرأة أكزاكوف الوزير الروسى وغيرهن من كرام العقائل ، وسيطات أيضا .

فاذا لم يكن المجرب نفسه يصلح للوساطة ، وجب أن يبحث عن وسيط غيره ، وليست الوساطة بالأمر الهين ، فقد تستولى الروح على يده فتخرجها عن إرادته وتكتب بها ما تشاء ، وقد تستولى على لسانه أو سمعه ، وقد تغطسه وتوقعه فى غيبوبة وتأتى ما تأتيه أمام المجربين ، وهو غافل عما تفعل . وقد شوهد أن بعض الارواح تتجسد مستعيرة جسدها من الوسيط ، فاذا وزن وهى متجسدة ، ظهر أن جسده آل الى نصف ما كان عليه . وقد شوهد أن الروح تتجسد بتحليل النصف الأسفل من جسم الوسيط ، لتكون لنفسها منه جسدا تظهر به للمجربين . وقد رئي أن الروح تضمر جسد الوسيط فتقصر أذرعته وساقيه ، وتفرغ جسمه من بعض العضلات والشحم ، ثم ترده الى حالته متى انصرفت .

هذه مسائل محيرة للعقل شغلت بال كثير من علماء أوربا ، فوقفوا حياتهم على دراستها ، وبذلوا الاموال الوفيرة لتهيئة أسبابها . ألفوا لها جمعيات وأقاذيميات ، وأقاموا مؤتمرات كان آخرها مؤتمر برشلونه سنة ١٩٣٥ ، ولهذه البحوث مئات من المجلات الخاصة بها . وهى كما ترى خليقة بأن ينفق فى سبيلها كل جهد . لذلك تراها قد شغلت من العقول مالم تشغله مسألة أخرى من قبل .

إنى أرى أن من واجباتى ، وقد عرض ذكر هذه المباحث ، أن أعطى قراء هذه المجلة صورة كاملة عنها ، وكل ما ذكرته من هذه الخوارق ، مشاهدات حققها رجال من أقطاب العلم ، وعملوا عنها محاضر مذيلة بتوقيعاتهم ، وتناقلوها فى مؤلفاتهم ، والقراء أحرار فى أن يتتبعوها فى تلك المؤلفات ، أو ينفروها بدون بحث ، كما يفعل علماء أوربيون كثيرون ، بحجة أنها منافية

للنواميس الطبيعية المعروفة التى لا يؤمنون إلا بها ، ولا يتخيلون أن فوقها قوة تستطيع أن تحولها عن مجراها العادى .

من أشهر الجمعيات التى تشتغل بهذه الامور جمعية المباحث النفسية التى ألفها مدرسو جامعة كمبردج فى سنة ١٨٨٢ ، ولا تزال موجودة ، وقد جمعت من تجاربها وتجارب سواها أكثر من خمسين مجلدا ، تعتبر ثروة علمية لا تقدر بثمن .

ومنها مجامع المباحث النفسية فى باريس ونيويورك وبرلين وروما وغيرها ، وكلها يديرها العلماء ، وهذه غير جمعيات لا يحصى لها عدد منبثة فى جميع عواصم الأرض .

ولا غرو فان موضوعها من أمس المواضيع بالانسان ، وأدعاها لتفكيره وعنايته ، فهى تبحث فى هل له روح تبقى بعد موت جسده ، وتخلد فى عالم غير هذا العالم أم لا ؟

وقد نشأ من الخوارق التى تاتيها الأرواح مواضيع لدراسات فيزيولوجية وبيولوجية ونفسية من الخطورة بمكان عظيم ، بحيث ينتظر أن يترقى العلم بحاها الى درجات لم يكن يحلم بها أحد من قبل ، وتحل بواسطتها شبهات دينية كانت أكبر عقبة فى سبيل الأديان فى عصور النهضات العلمية فى الامم .

تقرير اللجنة العلمية عن هذه الخوارق :

لما انتشرت هذه المباحث فى أوربا ، وأعلن كثير من العلماء تصديقهم لها ، طالب الرأى العام البريطانى المجمع العلمى بابداء رأيه فيها ، فندب اثنين وثلاثين عالما من أعلامه لفحصها ، وإبداء رأيهم فيها . فقاموا بما عهد اليهم ، ودأبوا ثمانية عشر شهرا على دراستها ، ثم كتبوا عنها تقريرا وقع فى أكثر من خمسمائة صفحة ، جاء فى آخره ما يأتى :

« كل الاجتماعات التى عقدت لفحص هذه المسألة كانت فى الدور الخاصة باعضاء هذه اللجنة ، لنفى كل احتمال فى إعداد آلات لاحداث هذه الظواهر ، أو أية وسيلة من أى نوع كان .

« وقد عملنا تجاربنا فى ضوء الغاز ، ما عداء عددا قليلا منها ، اقتضى شانه الخاص أن نعمله فى الظلام دقائق معدودة .

« وقد تحاشت اللجنة أن تستخدم الوسطاء المشتغلين بهذه المهنة فى الخارج ، أو الذين يأخذون أجرا على عملهم هذا . فكان واسطتنا الوحيد أحد أعضاء اللجنة ، وهو شخص جليل الاعتبار فى الهيئة الاجتماعية ، وحاصل على صفة النزاهة المطلقة ، وليس له غرض مالى يرمى إليه ، ولا أى مصلحة فى غش اللجنة . (نقول : هذا الاستاذ هو العالم الطبيعى مورجان رئيس شركات التلغرافات البريطانية) .

« كل تجربة من التجارب التى عملناها بما أمكن لمجموع عقولنا أن تتخيله من الدقة ،

عملت بصبر وأناة . وقد دبرت هذه التجارب فى أحوال كثيرة الاختلاف ، واستخدمنا لها كل المهارة الممكنة ، لأجل ابتكار وسائل تسمح لنا بتحقيق مشاهداتنا وإبعاد كل احتمال لغش أو توهم .

« وقد بدأ نحو أربعة أخماس اللجنة التجارب وهم فى أشد درجات الانكار لصحة هذه الظواهر ، وكانوا مقتنعين أشد اقتناع بانها نتيجة التدليس أو التوهم ، أو أنها حادثة بواسطة حركات غير ارادية للعضلات . ولم يتنازل هؤلاء الاعضاء المتشددون فى الانكار عن فروضهم إلا بعد ظهورها بوضوح لا يمكن مقاومته ، وفى شروط تنفى كل فرض من الفروض السابقة ، وبعد تجارب وامتحانات مدققة ومكررة ، اقتنعوا مضطرين بأن هذه المشاهدات التى حدثت فى خلال هذا البحث الطويل هى مشاهدات صحيحة لا غبار عليها » انتهى .

بعد صدور هذا التقرير مذيلا بتوقيع اثنين وثلاثين قطبا من أقطاب العلم الرسمى فى انجلترة ، أدرك الناس كافة أنهم حيال آية جديدة أراد الله أن تظهر لتخليص الانسانية من شبح المادية التى كادت تهوى بها الى مكان سحيق .

ما هى طبيعة الكائنات التى تحدث هذه الخوارق :

الصعوبة فى نظر المسلمين وغيرهم من الدينيين ليست فى حدوث هذه الخوارق أو أعظم منها ، لأنهم يعتقدون أن الوجود مشحون بكائنات روحانية علوية وسفلية ، قد يظهر بعضها من نفسه لبعض المستعدين لرؤيتها ، ويستحضر بعضها الآخر بوسائل قررها الروحانيون منهم ، ولكن الصعوبة هى فى ادعاء هذه الكائنات أنها أرواح الموتى الذين كانوا عائشين على الأرض ، وفى إمكان المجربين استحضارها فى أى وقت يريدون ، حتى ولو كانت فى عليين ، وهم من الأدنين .

والذى أنكره جمهور قراء مجلة الدنيا من المسلمين ينحصر فى هذه النقطة . فقد عز عليهم أن يصدقوا أن روح محمد صلى الله عليه وسلم تتنزل من عليائها الروحانى ، وتلبى دعوة واحد من الناس بوساطة امرأة قد لا تكون من المكانة الروحانية بحيث تصلح لمثل هذه الوساطة ، وباستدعاء رجال قد لا يكونون لاستدعائها أهلا .

هذه المسألة لم تفت كبار المجربين من الاوربيين ، فحذروا الناس من الانخداع بالأسماء الكبيرة التى تنتحلها بعض الكائنات الروحانية المنحطة ، فتدعى أنها أرواح علوية وهى فى الحقيقة من الأرواح السفلية التى دأبها تضليل الباحثين . فكثيرا ما اتصلت بهم كائنات مجردة من هذا الطراز وانتحلت شخصيات سقراط وأفلاطون ونابليون وغيرهم ، ثم اتضح من البحث أنها من درجات منحطة ولا تقصد غير السخرية من المجربين .

وهنا يجب علينا أن ننبه القارئين الى أمر جدير باهتمامهم ، وهو أن هذه البحوث يشتغل بها فى أوربا فريقان من الناس : فريق المستطلعين العاديين ، وهؤلاء ينخدعون بالظواهر ، وليس

لهم قدرة على تحليلها ، فيصدقون كل ما يقال لهم وكل ما يرونه ، فيتحمسون له ولا يقبلون فيه تشكيكا ؛ وفريق العلماء والمثقفين ؛ وهؤلاء يعنيهم قبل كل شيء التحقيق والتمحيص ، وبناء الاحكام على أساس علمى ركين .

فما اكتفى به الاستاذ الهلباوى بك ولطيف باشا سليم من الذهاب الى دار الوسيطة ، والجلوس اليها على منضدة ، وسماع أقوالها مما يكتفى به السواد الاعظم من المجربين، لا يرضى به العلماء المحققون ، ولا يعدون نتيجته تجربة يصح أن تذاع عنهم .

ذلك لأنها تعلل فى نظرهم بعلل طبيعية تنفى صلتها بالعالم الروحانى ، فيقولون : إن الوسيطة توقع نفسها فى نوم مغناطيسى ، وقد حذق بعضهم طريقة ذلك بدون منوم ، فيتصل عقلها الباطن بعقول المجربين ، فتعرف كل ما يجيش فى صدورهم من صور وأقوال . فكما قرأت فى نفس الهلباوى بك أنه يطلب روح النبى صلى الله عليه وسلم أو روح زوجته ، قرأت كذلك كل ما يعلمه من تاريخهما ، وما عرفه من حليتهما ، فرددته له بدون تحريف ، فخيل اليه أنه فى حضرة روح النبى الكريم ، أو روح زوجته المرحومة ، وما هو إلا خيال ما اختزنه عقله الباطن عنهما مردودا عليه .

وقد جاوز العلماء المجربون هذه الدائرة فى التعليل الى ما هو أوسع منها ، إذا أتى الوسيط أو الوسيطة بما لا يعلمه المستحضر من تاريخ الروح التى يستحضرها ، فقالوا : إن العقل الباطن للوسيط بما متع به من خاصتى السريان والكشف ، يستطيع أن يطلع على ما يريده من كتب التاريخ أو من عالم المثال نفسه ، حيث تمثل جميع الحوادث فيه قبل وقوعها ، كما يرى المنوم بعض الحوادث المستقبلة وينبئ عنها فتقع كما أنبأ . وما هو إنباء بالغيب وإنما هو رؤية حوادث خلقت ولما تصل الى العالم المحسوس ، وليس هو كذلك صادرا من الروح التى يطلبها المجرب ولكن من روح الوسيط نفسه .

وفى مجموعة التجارب الروحية ألوف من مثل تجربة الهلباوى بك لا يرفع العلماء الممحصون بها رأسا ، ولا يعدونها من الادلة التى يعتد بها فى هذا الشأن الخطير .

أما وقد وصلنا الى هذا الحد فقد وجب علينا أن نسرد أهم ضروب التحوطات التى يتخذها العلماء المجربون لعدم الانخداع بظواهر هذه المسائل ، تمييزا لما يمكن أن يحدث بالقوى الذاتية لروح الوسيط ، عما يرجح أنه آت من أرواح مستقلة عنه ، لأن التمييز بين هاتين الحالتين من أشق الأمور ، وفى حاجة الى خبرة واسعة بالمعارف النفسية ، وخصائص العقل الباطن .

بعض ضروب التحوطات التى يتخذها العلماء المجربون :

أول شرط عند العلماء لتمحيص التجارب ان يأتى الوسيط الى دورهم الخاصة أو الى معاملهم، وأن يخضع لما يسمونه إياه من ضروب التحوطات .

فيجردونه من ثيابه ويلبسونه سواها ، ويفحصون فمه وأذنيه خشية أن يكون قد أخفى فيها أداة صغيرة أومادة تفيده فيما هو بصدده .

ويشدون يديه ورجليه الى الكرسى الذى يجلس عليه شدا وثيقا ، ويسمرون أطراف الأربطة فى الارض ، ويختمونها بالشمع الاحمر ، ويطبعونها بخاتم ، ويضعون عليه قفصا من الحديد مسمرا على الارض .

ويصلون جسمه بجهاز كهربائى (جلفانومتر) ، يسجل عليه كل حركة مهما صغرت من حركاته .

ويوكلون به رجلين منهم يراقبانه .

ويفتشون الحجرة التى هم فيها ويقفلون بابها ونوافذها ويأخذون مفتاحها ، ويختمون كل ذلك بالشمع الاحمر .

فان كان الوسيط امرأة ، وكلوا بها نساءهم لتفتيشها وإلباسها ألبسة غير التى جاءت بها .

وقد بلغ بهم أنهم أضجعوا الوسيطة مرة على الارض ، وسمروا شعرها فيها ، بحيث لا تستطيع الحركة .

بعد أن يتخذوا هذه التحوطات أو ما يماثلها على حسب الاحوال ينتظرون ما يكون .

وكثيرا ما تجسدت أمامهم ، والوسيط على تلك الحال ، أيد الى المعاصم تسلم عليهم وتكاتب ، أو أذرع كاملة ، أو رءوس لا أجساد لها تكلمهم وتقبلهم ، أو أنصاف أجساد ، أو أجساد كاملة . وهم فى كل هذه الاحوال يستأذنونها فى أن يفحصوها ، فتأذن لهم ، فلا يدعون فى جسدها شعرا ولا عضلا ولا وزنا إلا فحصوه وقدروه .

وقد يرونها تتجسد أمام أعينهم ، فينشأ أولا فى جو الحجرة نحو بخار أبيض لا شكل له ، ثم يأخذ بعد ذلك شكلا إنسانيا نورانيا ، ثم يزداد جسمها كثافة حتى يكون جثمانا كامل الخلقة ، ذكرا أو أنثى ، فاذا أمسك أحد بيدها ، أحس بيد إنسانية ذات عضل وعظام وحرارة ، فان أصر على أن لا يتركها ، أفلتت منه بتحليل يدها وهى فى قبضة يده ثم تعيدها الى ما كانت عليه حرة طليقة .

فاذا طلب منها أن تزول ، ذابت أمامهم كما يذوب الثلج ، ولكن فى ثوان ، فاذا استعادوها للظهور ظهرت فى ثوان أخرى .

هؤلاء العلماء لم يتركوا ضربا من ضروب التجارب إلا فعلوه ، وقد أودعوا تجاربهم كتبا تعد بالالوف . ومع كل هذا (لم يجمعوا) بأن هذه الكائنات هى أرواح الموتى الذين تنتحل أسماءهم . ورغما عن ظهور أمهات وآباء وأخوات وإخوان وبنات وأبناء لأهليهم من المجربين ،

بصورهم التى كانوا عليها بين ظهرانيهم ، وبمميزات عقلياتهم وعواطفهم ، وطرز أحاديثهم ، وجميع خصائصهم ، رغما عن كل هذا لا يزال بعض العلماء من المجربين يتردد فى أنهم صادقون فيما يدعون ، لاشكا فى أنهم من عالم الروح ، ولكن فى أنهم الذين كانوا بين ظهرانيهم عائشين .

فبعضهم يظن أن روح الوسيط تتجرد وتظهر لهم بصور أهليهم .

وبعضهم يخشى أن تكون أرواحا خبيثة تتشكل بأشكال ذويهم وليست بهم .

وبعضهم لا يستبعد أن يكون ما يرونه صور ما استكن فى ضمائرهم .

وقد رد العلماء المصدقون على هذا الفريق من العلماء الشاكين بقولهم : إذا كانت روح بعض الوسطاء تكذب فلا يعقل أن تكذب أرواحهم أجمعين ، ومنهم من هم أقارب للمجربين .

وردوا على شبهة الارواح الخبيثة بقولهم: لا يعقل أن تجمع تلك الأرواح على هذا الخبث فى كل بلد ، وفى مدى تسعين سنة مرت فى البحث والتنقيب .

وأما شبهة التوهم فقد دفعه الناقدون بقولهم: إن تلك الكائنات ترفع الأخونة الثقيلة وتضع عليها الكراسى والمناضد ، وتكسر الاشياء الجامدة ، وتظهر صورها بالفوتوغرافيا ، فهل يرفع الوهم الأجسام الصلبة ويكسرها ، وهل يقبل الوهم التصوير ؟

يسع كل من يستبعد من المسلمين خضوع الارواح الانسانية للوسطاء والمجربين ، أن ينضموا الى فريق العلماء الشاكين ، أو يعزوها للشياطين .

فسواء أصح أن هذه الكائنات هى أرواح إنسانية أم أرواح شيطانية ، فقد أصاب إثبات وجودها الفلسفة الالحادية فى مقتلها ، فقد كانت تزعم أن الوجود لا يعمره غير المادة ، وأن كل ما يقال عن كائنات روحانية عائشة فى عالم غير مرئى ، فهو هراء ولده الخيال ، وجمد عليه الناس فى خلال الاجيال .

فاذا قال قائل : وماذا يهم المؤمنين من مزاعم الملحدين ؟ نقول : يهمهم ظهور خطئهم فيما كانوا يزعمون من أن المؤمنين ما جعلهم يتمسكون بما ورثوه من وجود العالم الروحانى ، إلا أنهم لم يتذوقوا العلم ، ولم يصدروا عن أسلوبه الصارم فى التمحيص ، وهذه شبهة قد أثرت أقوى تأثير فى نفوس المتعاملين على الطراز الحديث . ولكنهم اليوم لا يستطيعون أن يستندوا فى نفى العلم الروحانى على العلم ولا على أسلوبه ، فقد تولى العلم منذ تسعين سنة البحث فى هذا الموضوع على موجب دستوره المقرر فثبت له وجوده ثبوتا لا يمكن التشكك فيه .

قال الاستاذ (ميرس) H. W. Myers المدرس بجامعة كامبردج الانجليزية فى كتابه الشخصية الانسانية (The human personality) .

« حوالى سنة ١٨٧٣ حيث كان المذهب المادى قد أوغل فى الأرض حتى وصل

الى سواحلنا ، وبلغ أوج سطوته على العقول ، اجتمع ثلة من الزملاء فى جامعة كمبردج ، وأجمعوا على أن هذه المسائل العويصة المتنازع عليها (يريد المباحث الروحية) تستحق التفاتا ، وجهدا جديا ، أكثر مما عولجت به الى ذلك الحين . إذ كنت أرى أنا أن محاولة جديرة بهذا الاسم لم تعمل الى ذلك الوقت لتبت فيما إذا كنا أهلا أو غير أهل للالمام بشيء يختص بالعالم غير المرئى ، (أى العالم الروحانى) . وكنت مقتنعا بأنه لو أمكننت معرفة شيء من ذلك العالم على أسلوب يستطيع العلم أن يقبله ويحفظه ، فلا يكون ذلك بالتنقيب فى الأساطير القديمة ، ولا بمجرد التفكر فيما بعد الطبيعة ، ولكن بواسطة التجربة والمشاهدة ، وبتسريتنا على الظواهر التى تحدث فينا وفيما حولنا أساليب الامور اليقينية نفسها ، وهى الأساليب النزيهة المتروى فيها ، أى تلك الأساليب التى نحن مدينون لها بمعارفنا الطبيعية عن العالم المحسوس .

« فالبحث الذى علينا أن نقوم به ، لا يمكن أن يقتصر فيه على تحليل ساذج للأسانيد التاريخية ، أو التى صدرت عن هذا الوحى أو ذاك ، مما كان يوحى به فى الزمان الماضى ، ولكن يجب أن يؤسس هذا البحث قبل كل شيء — ككل بحث علمى بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة — على تجارب يمكننا تكرارها اليوم ، مؤملين أن نزيد عليها غدا . وهذا البحث لا يمكن أن يكون إلا بحثا مؤسسا على هذه القضية ، وهى : أنه إذا كان يوجد عالم روحانى ، وكان هذا العالم الروحانى موجودا فى أى عهد كان ، وكان قابلا لأن يظهر ويستكشف ، فيجب أن يكون كذلك فى أيامنا هذه .

« فمن هذه الوجهة ، وقياما على هذه الاعتبارات العامة ، واجهت الجمعية التى أنا عضو منها هذه المسألة » .

نقول : وهذه الجمعية هى جمعية المباحث النفسية الانجليزية ، وهى قائمة الى اليوم ، وقد مر ذكرها .

نقول : وقد مضى على تأسيس هذه الجمعية أكثر من خمسين سنة وكشف البحث فى خلالها أمورا لا يكفى فى بيانها أقل من مجلد ضخم ، وكلها تثبت بأدلة عيانية وجود العالم الروحانى ، وهو ما كان يعوز الناس على وجوده الدليل العلمى القاطع . أما وقد وجد هذا الدليل فقد انفتح الطريق أمام الدين الحق ، ولم يبق بين الناس والانسانية الكاملة ، والمدنية الفاضلة ، إلا أن يعملوا بتعاليمه الجامعة بين سعادتى الحياتين ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ؟

محمد فريد وجدى

باب الأسئلة والفتاوى

فى الوقف

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الازهر الاستفتاء الآتى :

رجل وقف جميع أملاكه على زوجته ، وعلى ماعسى أن يتزايد لها من أولاد وأولادهم وأولاد أولادهم ... الخ ، فاذا انقرضوا ولم يوجد لها عقب ، رجع ذلك الى أقرب الناس بالحبس عليها يوم الرجع ، ثم على أعقابهم وأعقاب أعقابهم ما تناسلوا ، وإذا انقرض العقب أو الذرية رجع ذلك حبسا على زاوية الوالى الصالح (فلان) ، وقد احتفظ الواقف بغلة الموقوف مدة حياته . ثم توفى الواقف دون أن يعقب من زوجه الموقوف عليها ، وانتقلت جميع الاعيان الموقوفة بجميع مشتملاتها وغلاتها الى الزوجة ، ثم اقترنت الزوجة بزوج آخر ، ورزقت منه بغلام ، وتوفيت على أثر ذلك ، فتقدم أخوها مع إخوة له ، وادعوا أنهم أصبحوا مستحقين لريع الوقف المذكور ، لأن الواقف ما كان يقصد بالطبع إلا الاولاد الذين ترزق بهم زوجته منه ، لا من آخر بعد وفاته ، وإذاً فتعتبر الموقوف عليها كأنها توفيت دون عقب ، وقد نص فى الوقف على أنه إذا توفيت دون عقب ، فان الموقوف يرجع الى أقرب الناس اليها ، وهؤلاء هم إخوتها الأشقاء . ويقول زوج المتوفاة : إن الوقف بجميع مشتملاته قد أصبح حقا لولده من المتوفاة الموقوف عليها طبقا لنص الواقف ، فالى من يؤول هذا الوقف ؟

على محمود السرجانى

الجواب :

الأصل أن اللفظ العام يحمل على عمومه الذى يتبادر منه ، ولا يجوز تخصيصه إلا بمخصص ملفوظ فى الكلام ، أو ملحوظ قامت عليه القرائن الكافية .

وبالرجوع الى ما ورد فى السؤال نجد أن الواقف جعل وقفه على زوجته ، وعلى ما عسى أن يتزايد لها من أولاد ، وهذا عام يشمل جميع من ولد لزوجته منه أو من غيره ، ولا يختص باولادها منه ، إذ لا دليل فى كلامه على هذا التخصيص ، بل فى كلامه ما يدل على أنه أراد التعميم وعدم الفرق بين أولادها منه وأولادها من غيره ، وهو قوله : « فاذا انقرضوا عن آخرهم ، ولم يوجد لها عقب رجع ذلك الى أقرب الناس بالحبس عليها يوم الرجع » إذ أن هذا النص واضح منه أن رجوع الوقف الى أقرب الناس مشروط بعدم وجود أى عقب للزوجة ، سواء أكان ذلك العقب من الواقف أم من غيره ، والمطلع على كتاب الوقف يتبين أن الواقف يريد أن يبر بزوجته وبمن يمت إليها بصلة القرابة أيا كان ، وأنها هى وأولادها مقدمون فى الاستحقاق على من عداهم ، فلا يستحق أحد ما دامت الزوجة أو واحد من أولادها على قيد الحياة .

وبناء عليه يكون الوقف لولدها المذكور ، وما تزايد لها من ولد ، وإن لم يكن من الواقف ، والله أعلم .

وجاء أيضا الى لجنة الفتوى ما يأتى :

رجل وقف أملاكه على زوجته من بعده ، واشترط لنفسه الشروط العشرة وحق تكرارها أكثر من مرة ، وأباح لزوجته من بعده الشروط العشرة ، ولم ينص على التكرار ، وقد أدخلت الزوجة بعد أن آل اليها الوقف مستحقا جديدا خصمت استحقاقه من استحقاق من يؤول اليه الوقف من بعدها ، لأن الواقف ذكر طبقات المستحقين بعد الزوجة طبقة بعد طبقة . وبعد أن أدخلت الزوجة المستحق الجديد توفى ، فجعلت مآل الوقف لمستحق آخر ، وحرمت باقى المستحقين بعدها ، وتنازلت فى حجة إدخال المستحق الجديد بدل المستحقين الأصليين عن الشروط العشرة ، والمطلوب معرفته هو :

(أولا) هل إدخال المستحق الأول الذى توفى يعتبر من الشروط العشرة ، وكذلك إحلال المستحق الثانى محل المستحقين الأصليين يعتبر من الشروط العشرة ؟ وإذا كان الأمر كذلك فهل يجوز للزوجة تكرار الشروط العشرة مع أنه لم ينص فى الحجة على التكرار ؟

(ثانيا) هل للزوجة الحق فى التنازل عن الشروط العشرة ؟ وهل لا تستطيع بعدها إجراء أى شىء منها ، أو أن هذا ليس من حقها ؟

(ثالثا) هل للزوجة المذكورة الحق فى العدول عما سبق أن كررت من إحلال مستحق بدل المستحقين الأصليين ، والعودة الى ما هو مدون بحجة الواقف الاصلية من الاستحقاقات بعد أن تنازلت عن الشروط العشرة ، أولا ؟ محمد طلعت الفرنساوى

الجواب :

يتبين من كتاب الوقف أن الواقف قد جعل لنفسه حق إعطاء الشروط العشرة لمن شاء ، ولكنه لم يجعل لنفسه حق إعطاء غيره تكرارها ، بل جعل حق تكرارها لنفسه خاصة ، وإذاً لا يسوغ له أن يعطى السيدة كايرى زوجته إلا نفس الشروط العشرة دون أن يكون لها حق تكرار العمل بها .

وبناء على ذلك يكون ما عملته السيدة المذكورة أولا من إدخال الحاج عبد اللطيف أغا رأفت ضمن مستحقى هذا الوقف عملا صحيحا تملكه ، وأن ما عملته ثانيا بعد ذلك من إدخال الجمعية الجغرافية الملكية غير صحيح . أما تنازلها عن الشروط العشرة بعد ذلك فهو تنازل صحيح لا تملك الرجوع عنه ، ولا التصرف فى شىء من الشروط العشرة بعد هذا التنازل ، والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

الاسلام والفلسفة

— ١٠ —

ابن رشـــــد

نسبه — حياته :

هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ، ولد فى قرطبة فى سنة ١١٢٦ من أسرة ماجدة عالية الشأن توارث أفرادها منذ زمن بعيد بعض المناصب الراقية فى الدولة ، فكان ابوه قاضيا فى قرطبة ورث القضاء عن جده ، وقد مكنه ثراء والده من أن يتلقى دراسة عالية فى كثير من العلوم والفنون : مثل الفلسفة والرياضة والفقه وعلم الكلام والنحو والموسيقى والطب والفلك حتى صار أعلم أهل عصره قاطبة بكل هذه العلوم . وفى سنة ١١٦٩ تولى ابن رشد منصب قاضى القضاة فى قرطبة بعد وفاة أبيه ، فحمدت سيرته ، وأثنى الناس عليه لعدالته ، وذاع ذكره فى أنحاء العاصمة ، فسمع به الامير أبو يوسف الموحدى فقربه من مجلسه ، وأنعم عليه بما شجعه وزاد فى إقباله على دراسة الفلسفة .

ولما رأى نبوغه وشاهد عبقريته رغب فى أن ينتفع به العلم فى عصره ، فجعل يوجه اليه أسئلة فى المنطق وما وراء الطبيعة ، لأن هـذا الأمير كان لا يقل ثقافة عن علماء عصره . وحين آمن بعلم ابن رشد ، صرح أمام ابن طفيل بأنه فى حاجة الى فيلسوف ذكى يشرح كتب « أرسطو » ويوضح مراميها ؛ فاعتذر ابن طفيل عن هذه المهمة بأن لديه من مشاغل حياته ما يمنعه من مزاولتها ، ثم ذكر أمامه ابن رشد بخير وأثنى على عبقريته وأنبأه بأنه قمين بتحقيق إرادة الامير . ولما خلا بابن رشد أبلغه رغبة صاحب العرش ، وطلب اليه أن ينزل عند إرادته ، فأجاب سؤله ، وكان عند ظنه به ، فأخذ يصول ويجول فى كتب أرسطو ، فألقى على ظلمتها الحالكة شعاعا قويا من نور ذكائه الوقاد وعلمه الفياض ، وآرائه الفقيلية الثابتة حتى كشف غامضها ، وأوضح مبهمها ، وجعلها فى متناول أذهان كل من له إلمام بالحكمة بعد أن كانت مقصورة على تلاميذ أرسطو فى معهد « الليسيه الأثينى » . ولهذا قال عنه بعض فلاسفة أوروبا : « ألقى أرسطو على كتاب الكون نظرة صائبة ففسره وشرح غامضه ، ثم جاء ابن رشد فألقى على فلسفة أرسطو نظرة ثاقبة ففسرها وشرح غامضها » .

ولما تولى الخليفة المنصور بالله كان ابن رشد قد انقطع لدراسة الفلسفة ووقف نفسه على بحوث الحكمة ، وأفرغ جهده فى توجيه فلسفة أرسطو وتعليلها وإعلاء شأنها ، وكان

هذا الأمير قد خالف نهج سالفه ، فهجر الفلسفة ومال الى التصوف ، وجعل حوله بطانة من شيوخ الطرق الذى لقحوا رأسه بما أحنقه على ابن رشد وبغضه فيه . ومن سوء حظ هذا الفيلسوف أن جماعة من أعدائه قد اندسوا بين هؤلاء المتصوفين وأخذوا يكيدون له من وراء ستار الدين حتى إذا استحكم العداء فى نفس الامير أمر بالقبض على ابن رشد وتلاميذه المخلصين له ، فجيء بهم وحوكموا أمام مجلس علنى ، ولم يسمح لهم بالدفاع عن أنفسهم ،وأسفرت المحاكمة عن نفيهم فنفوا الى « أليسانا » .

وقد انتهز خصومه هذه الفرصة وشنعوا عليه ، وأذاعوا أن الأمير نفاه الى بلاد أجداده اليهود ، غير أن هذا النفى لم يدم طويلا ، إذ لم يلبث جماعة من أعيان اشبيلية أن شهدوا بأن مانسب اليه غير صحيح ، فندم الأمير على مافرط منه نحوه ، وأعاده وتلاميذه الى بلادهم معززين موفورى الكرامة بعد سنة واحدة من نفيهم . وفى سنة ١١٩٨ خبا كوكب حياة ابن رشد بعد أن ظل يتلألأ فى سماء الأمة العربية زهاء أربعين سنة قضاها فى عالم التفكير والتأليف ، وكانت سنه ثنتين وسبعين سنة ، وقدقيل عنه إنه لم يترك فى حياته مذاكرة العلم إلا ليلتين : ليلة وفاة والده ، وليلة بنائه بزوجته .

مؤلفاته :

كانت مؤلفات ابن رشد مكتبة بتمامها ، فقد كتب فى الفلك والطب والفقه وعلم الكلام والنحو ، وكل هذا لايعنينا فى بحثنا الحاضر ، وإنما الذى يهمنا هو الفلسفة ، وخير ما كتبه فيها المؤلفات الآتية : (١) « تهافت التهافت » (٢) « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » (٣) « الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة » (٤) « سعادة النفس » . وفى هذه الكتب ظهرت آراء ابن رشد الفلسفية فى الالهيات والنفس والعالم من حيث القدم والحدوث ، وفى علم الله وإحاطته بالجزئيات ، وفى البعث وهل هو للأرواح أو للأجسام . ولوأننا حاولنا أن نتعقب هذه الآراء فى مواطنها الأصلية وهى كتب ابن رشد ، لطال بنا المدى وترامت أمامنا أطراف المجال ، ولكننا سنقتصر على إيجاز رأيه فى هذه النقط عند الكلام على فلسفته . أما الآن فاننا نكتفى مع الاشارة الى ما سبق من كتبه بذكر ما لخصه وشرحه من كتب أرسطو . وإليك بعض هذه الكتب : « تلخيص السماع الطبيعى » « تلخيص السماء والعالم » . « تلخيص الكون والفساد » . « تلخيص الآثار العلوية » . «تلخيص كتاب النفس » . «تلخيص تسع مقالات من كتاب الحيوان »«تلخيص الحس والمحسوس» . «تلخيص ما بعد الطبيعة » . « تلخيص كتاب الأخلاق » . « شرح كتاب السماء والعالم » . « شرح السماع الطبيعى » . « شرح كتاب النفس » . « شرح كتاب البرهان » . « تلخيص المنطق » . « شرح ما بعد الطبيعة » . « شرح كتاب القياس » .

فلسفته :

يعلم الواقف على تاريخ الحركة العقلية العالمية أن أهم ما كان يشغل فلاسفة العرب هو (١) « قدم العالم وخلوده أو حدوثه وفناؤه » . (٢) تعلق علم الله بالجزئيات أو اقتصاره على الكليات » . (٣) « حشر الأرواح فى الأجسام أو وحدها » . (٤) « نظرية المعرفة » . وهذه النظريات كلها لا تظهر واضحة عند فيلسوف آخر ظهورها فى فلسفة ابن رشد ، فهو الذى أبان غامضها ، وأوضح مشكلها ، ووضع بها الحد الفاصل بين الفلاسفة والمتكلمين فى الاسلام ، وبين المسيحيين والمشائين فى أوربا ، فكانت سببا فى اشتعال حرب ضروس بين الدين والفلسفة وبين كثير من الطبقات عدة قرون . ولم يقتصر ابن رشد على ذكر رأيه فى هذه النظريات القديمة ، بل أتى بمذهب جديد مستقل كان مبعث النهوض ومنبع أشعة نور العلم فى أوربا طوال القرون الوسطى . وإليكم هذه الفلسفة الرشدية فى شىء من الايجاز :

بعد هذا الجهاد الطويل الذى قامت به الفلسفة العامة فى البحث عن أسرار الكون ومبدعه ، وصلت فى عهد ابن رشد الى نظريتين جوهريتين : أولاهما أن المادة قديمة ، والعالم أزلى ، وأن الحركة الموجودة بها هى طبيعية فيها ، وأن الاله لايزيد على أنه صانع مصور يضع التصميم لمادة موجودة ويمنحها الصورة التى تقتضيها الحكمة ، وهو محرك أول غير محدود ، وأن الانتاج الجلى الموجود فى الكون هو آت عن طريق التناسل والتوالد ، لا عن طريق الخلق والايجاد ، وأن مهمة البارى فى هذه الأحوال هى تخليص الأبناء من الآباء ، لا الخلق والانشاء .

وأما النظرية الثانية ، فهى ترى أن الله وحده هو الأزلى ، وأن كل ما عداه محدث مخلوق له . وبناء على ذلك يكون الله جل شأنه هو الخالق الحقيقى ، ويكون تعاقب الأجيال إيجادا محضا ينشىء الله الأفراد فيه من عدم بطريقة مباشرة . وبالرأى الأول قال بعض الفلاسفة ومنهم ابن رشد ، وبالرأى الثانى قال المتكلمون .

وكيفية نشوء الافراد من المادة القديمة هى أن تلتقى عناصر الوجود بعضها ببعض بواسطة حركة طبيعية قوامها الحرارة الموجودة فى الكون . فكلما التقت الحرارة بعنصرى الماء والتراب الباردين نتج من ذلك نبات أوحيوان ، وهى لاتلتقى بهما إلا فى أوقات وحالات محدودة ، ولكن هذا التماس الذى يحدث بين العناصر يقع بطريقة منظمة كأنه تسيره قوة عاقلة مدبرة مع أن طبيعة العناصر فى ذاتها محرومة من كل عقل وتدبير ، وليس فيها إلا الشوق الطبيعى الموجود فى كل كبيرة وصغيرة من أجزاء الكون ، وإنما المسير المباشر لهذا النظام هو تلك القوى المتغلغلة فى الأفلاك .

وبناء على كل هذا ، فالبارى لم يستحدث شيئا ، لأن الاستحداث من العدم مستحيل

ما دمنا نؤمن بأن العدم لا ينتج وجودا . وعلى ذلك يكون الامام الغـزالى ومن نحا نحوه من المتكلمين القائلين بأن البارى هو منشىء الكون من عدم ومانح الصور مخطئين فى رأى ابن رشد .

أما ابن سينا فهو يعتبره من أجـل تعبيره بكلمة الخالق إما مخطئا أو تقويا ، وإنما الحق الذى لا ريب فيه عنده هو أن هناك أزليين: البارى . والمادة المشتملة على قوة كامنة ، ولكن أزلية البارى تختلف عن أزلية المادة ، لأن الأول علة فى الثانية ؟

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

ما قيل فى مسايرة الايام

قال حكيم : « اصحب الايام بالموادعة ، ولا تسابق الدهر فتنكب » .

وقال الشاعر :

من سابق الدهر كبا كبوة   لم يستقلها من خطا الدهر
فاخط مع الدهر إذا ما خطا   واجر مع الدهر كما يجرى

لا أظن أن الشاعر يقصد من مسايرة الدهر ومجاراته أن يندفع فى التيار الذى ينشئه أهل الفساد فيه ، فان ذلك فضلا عن منافاته للكرامة الشخصية ، فهو شديد الخطر على المجموع ، فان المدنية الفاضلة تقتضى أن تسود الفضائل ، وأن يعلو شأن المحامد ، فاذا وطن كل إنسان نفسه على أن ينقاد لشهوات أهل الشهوات ، تغلبت الرذائل على المجتمع ، وباد كما باد غـيره ولا كرامة .

وقال بشار العقيلى :

أعاذل إن الدهر سوف يفيق   وإن يسارا من غد لخليق
وما كنت إلا كالزمان إذا صحا   صحوت وإن ماق الزمان أموق

هذا يجب أن يعتبر زجرا للذين على هـذه الشاكلة ، فان من يحمق إذا حمق الزمان كان شاهدا على نفسه بأنه من الذين يعيشون لينعموا وإن اقتضت النعمة أن يبذلوا فى سبيلها كرامتهم ومروءتهم . ولا يخيل لى أن إنسانا يذم نفسه بأشنع من هذا .

السنة

الاخلاص

عن أبى أسامة قال : « جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر : ماله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا شيء له ، فأعادها ثلاث مرار ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا شيء له ، ثم قال : إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغى به وجهه » . رواه أبو داود والنسائى بسند جيد — من كتاب الترغيب والترهيب .

هذا الحديث صريح فى أن الله لا يقبل الأعمال إلا إذا كانت خالصة ؛ ويتعلق بذلك أمور : (١) فضل الاخلاص وقيمته فى نظر الدين الاسلامى (٢) حقيقة الاخلاص ما هى (٣) بيان حكمة مشروعية الاخلاص (٤) هل عدم الاخلاص يحبط أجر العمل فقط أو يستلزم مع ذلك الاثم ؟

١ — فأما فضل الاخلاص فى نظر الدين الاسلامى فانه يدل عليه كتاب الله وسنة رسوله أوضح دلالة ؛ وقد ورد فيهما ما يفيد أن الاخلاص هو الأساس الذى تنبنى عليه الأعمال الصحيحة المقبولة ؛ فمن لم يخلص فى اعتقاده وقوله وعمله فانه لا يحق له أن يطمع فى قبول شيء منها لا قليلا ولا كثيرا ، بل قد تكون عند الله شرا ووبالا عليه كما ستعرفه بعد . فعلى أساس الاخلاص أمر الله الناس بعبادته ، قال تعالى : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » ، وذلك صريح فى أن الذى يعبد الله غير مخلص لا يكون محصلا للعبادة التى أمره الله بها قطعا . وعلى أساس الاخلاص وعد الله التائبين من المنافقين بالقبول والأجر العظيم مع المؤمنين العاملين ، قال تعالى : « إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين ، وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما » .

وهذا المعنى قد جاء فى كثير من الأحاديث الصحاح ، ومنها حديث أسامة الذى نتكلم فيه هنا . ويؤخذ من مجموع الأحاديث أن الانسان لا يحسب فى عداد المؤمنين العاملين إلا إذا كان مخلصا فى عقيدته ، مخلصا فى معاملة الخالق والمخلوق حسبما أمره الله تعالى . وكفى بذلك دلالة على فضل الاخلاص وقيمته فى نظر الدين . ولذا قال بعض علماء الاخلاق : إن

أمر الدين كله يرجع الى أصلين : عمل من الله لعبده ، وعمل من العبد لربه ، فمن أراد أن يظفر بالسعادة الخالدة فعليه أن يرضى بعمل خالقه ، ويخلص هو فى عمله له . فمدار الدين كله على الرضا والاخلاص .

٢ — أما حقيقة الاخلاص فقد بينها علماء الأخلاق الدينية بيانا حسنا ؛ وإليك توضيح ما قالوا : إن الاخلاص هو عبارة عن تخليص العمل عن كل ما يمكن أن يخالطه من شوائب الشرك بجعله مقصورا على السبب الذى حصل الفعل من أجله . وهذا السبب يجب أن يكون صحيحا ممدوحا فى نظر الدين ، فاذا عمل الانسان عملا مقصورا على سبب فاسد كما إذا قصد بعبادته الحصول على لذة من اللذات كشهرة أو مال أو جاه ، فانه لا يكون مخلصا فى عبادته لربه ، وإنما يكون مخلصا لذلك الغرض الذى بعثه على العبادة ، وهذا لا يسمى إخلاصا شرعيا طبعا .

ويتضح من هذا البيان أن الاخلاص أمر يتعلق بالقلب ؛ وإن شئت قلت يتعلق بالنية ، وذلك لأن النية وهى الارادة صفة نفسية يترجح بها تحصيل الفعل المرغوب فيه ، فاذا مالت إرادة الانسان الى أمر يرغبه وتعلقت به ، سخرت القدرة لتحصيل ذلك الأمر ، فاذا تعلقت الارادة بالفعل لسبب باعث صحيح بدون أن يزاحمه سبب آخر ، كانت تلك النية خالصة والفعل المترتب عليها خالصا . وقد يسمى الفعل فى هذه الحالة إخلاصا . مثلا إذا تعلقت إرادة الانسان بالجهاد فى سبيل الله ، أو بالحج الى بيت الله ، فتحركت أعضاؤه لتحصيل ذلك الفعل ، فان انبعاث الارادة وتعلقها بالجهاد أو الحج لا بد أن يكون لغرض من الأغراض ، فان كان ذلك الغرض مقصورا على ابتغاء مرضاة الله كما ورد فى الحديث ، كانت النية خالصة ، وكان الفعل المترتب عليها خالصا ، وكان الفاعل مخلصا . ومثل ذلك ما إذا تعلقت نيته بالجهاد لغرض تحصيل الثواب الأخروى الذى وعد الله به المجاهدين ، فان ذلك السبب يرجع الى مرضاة الله . أما إذا تعلقت إرادته بالجهاد لتحصيل الثواب وليكون له ذكرى حسنة كأن يقال عنه : إن هذا الرجل شجاع يحمى الذمار ، وبذلك يعظم قدره فى أعين الناس ، فان عمله هذا لا يكون فيه إخلاص ، وذلك لأنه بناه على سببين : قصد الثواب ، وقصد الشهرة وعلو المكانة فى أعين الناس ؛ والسبب الثانى غير صحيح فى نظر الدين ، فكانت نتيجة بناء العمل عليه حبوط أجر ذلك العمل وضياعه حتى كأنه لم يكن .

وهذا المعنى هو كقول بعض علماء الأخلاق : إن الاخلاص فى العمل هو أن لا يريد صاحبه عليه عوضا ، بل يعمل لمجرد الغرض الدينى الذى بعثه الى العمل . وعلى أى حال فالاخلاص أمر يمكن تحصيله بسهولة متى كانت النفس مهذبة نشأت على حب الفضيلة ومجافاة الرذيلة ؛ بل ربما كان العمل بدون الاخلاص أشق على تلك النفوس الطاهرة من غيره ، فلا يجدون اللذة الحقيقية إلا فى العمل الخالص لخالقهم . ولا ريب فى أن الذى يعمل لمرضاة الاله القادر الذى

بيده مكافأة العاملين ، سينال من الجزاء أحسنه ، ومن المكافاة ما تقر به عينه من غير أن يتكلف قصد المكافأة والجزاء . على أن الأغراض الدنيوية إذا كانت مما يترتب على عمله فانها تتحقق بدون أن يقصدها ، وقد يتحقق منها أضعاف ما يمكن أن يتصور وهو غافل عنه . فمن سوء التربية الخلقية أن يجعل الانسان أعمال البر مبنية على الشهوات الفاسدة .

ويتبين من هذا أن الاخلاص كغيره من الفضائل لممكنة التى كلف الله بها عباده . ولكن بعض علماء الاخلاق قد توسع فى ضرب الأمثلة التى يتميز بها الاخلاص عن غيره ، فأتى منها بما يصوره فى صورة الأمر المتعذر الذى يكاد يكون تحصيله مستحيلا ، اللهم إلا على الخواص والمقربين ، حتى نقل عن بعضهم أنه قال : من سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة نجا . ومن الأمثلة الدقيقة التى رويت أن رجلا مكث يصلى فى الصف الأول ثلاثين سنة ثم عرض له ذات يوم عذر فصلى فى الصف الذى يليه ، فاعتراه الخجل من الناس الذين رأوه على هذه الحالة فعرف بذلك أن صلاته فى الصف الأول كان لها علاقة بنظر الناس اليه ، فأدرك أن صلاته كل هذه المدة لم تكن خالصة وهو لا يدرى . ولكن الواقع غير هذا ، لأن الله تعالى قد أمر العقلاء المكلفين بالاخلاص فى دينهم وفى عاداتهم كما ذكرنا آنفا ، لا فرق فى ذلك بين خاصة الناس وعامتهم ؛ وهو سبحانه لم يكلف عباده عسيرا بل كلفهم يسيرا ؛ فليس من المعقول حينئذ أن يؤاخذ الله الانسان بما خفى عليه ، وإنما يؤاخذه بما هو معلوم له قادر عليه ، قال تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » .

ولعل السبب الذى حمل هؤلاء المرشدين على التشدد فى بيان الاخلاص هو المبالغة فى تحذير الناس من خلط الأغراض الصحيحة بالفاسدة فى أعمال البر ، لأنها تحبطها وهم غافلون . أو لعلهم يريدون أن يضربوا الأمثال بالصالحين الذين يتحرجون من خفايا الأمور ودقائقها ليكون للناس منهم أسوة حسنة ، وإلا فالاخلاص فى ذاته أمر سهل ، ولا يصعب إلا على من أشرب قلبه حب الشهوات ، وغفل عن الفضائل الخلقية التى أجلها الاخلاص لله الواحد القهار .

(٣) أما حكمة مشروعية الاخلاص فانها ترجع الى أمرين عظيمين : (أحدهما) البعد عن الوثنية وما يشاكلها ولو ظاهرا . (ثانيهما) استمرار أعمال البر ودوامها . فأما الأول فان الدين الاسلامى قد جاء بتوحيد الاله وتنزيهه عن كل ما لا يليق به ، وأنه هو وحده المستحق للعبادة لكونه موجدا للعالم وموجدا للوسائل التى بها يبقى العالم الى الأجل الذى يريده . فهو الخالق الرازق . أما الاصنام والآلهة التى يشركونها مع الاله فى العبادة فانها مخلوقة لا خالقة ، ولا تملك لهم رزقا ، فهى عاجزة عن إيجادهم وعن إيجاد ما به يعيشون ، فمن السفه عبادتها ، ولذا قال تعالى : « إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا ، إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا ، فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه » . من أجل ذلك فرض الله الاخلاص

ونهت الشريعة الاسلامية عن بناء الاعمال الدينية على أسباب غير مشروعة نهيا جازما لما فيها من التشبه بالوثنيين الذين تحملهم تقاليدهم وعاداتهم على عبادة الاوثان . ومن المضحك أنهم كانوا يعبدونها مشركين فى عبادتها من نواح كثيرة . فنهم من كان يجعل السبب فى عبادتها الخوف من لوم الناس واتهامهم إياه بالمروق من دين آبائه وأجداده . ومنهم من كان يعبدها خوفا من أن تنهار سلطنه ويضيع جاهه . ومنهم من كان يعبدها لأنها تقرب الى الله . وقد جاء كل ذلك فى القرآن الكريم والسنة . فجاء الاسلام لمحاربة الوثنية والشرك من جميع نواحيه ، وجعل من أول واجبات المؤمنين والمؤمنات أن يجتنبوا كل ما يشتم منه رائحة الوثنية ، أو يكون فيه تشبه بالوثنيين ولو ظاهرا . ولذا نهى الدين نهيا جازما عن تعظيم الأشجار والأحجار والهيا كل ونحو ذلك لما فيه من التشبه بالوثنيين ، وفرض على الناس أن يخلصوا لله سبحانه ، فلا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن يبنى عمله الدينى على سبب فاسد لا يقره الدين ، بل لا بد من قصر أعماله الصالحات كلها على مرضاة الله تعالى امتثالا لامره واجتنابا لما نهى عنه .

وأما الثانى وهو استمرار العمل الصالح وعدم انقطاعه ، فذلك لأن الدين قد جاء بكل فضيلة ونهى عن كل رذيلة ، فحث الناس جميعا على تحصيل كل ما فيه سعادة المجتمع فى الدنيا والآخرة . فكل أعمال البر التى يترتب عليها عز الأمم ومجدها وهناؤها فى حياتها أمر بها الاسلام ، فقد فرض الاتحاد والتعاون على أعمال البر ، ونهى عن الفرقة والتخاذل ، وأمر بالعطف على الفقراء والمساكين وذوى الحاجات ، وفرض للمحتاجين قدرا معينا فى أموال الاغنياء . قال تعالى : « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ، وأمر باغاثة الملهوف وإنقاذ المكروب ، وإعانة الضعيف ، والاخذ بناصر المظلوم ؛ وأمر بالتسامح فيما يترتب عليه تقوية الروابط بين الناس ؛ وأمر بصلة الارحام ومراعاة حقوق الجوار ، والصدق والعفاف والعدل ، الى غير ذلك من الاعمال التى يسعد بها المجتمع سعادة حقيقية .

وبديهى أن هذه الأعمال التى يتوقف عليها صلاح المجتمع وتنبنى عليها سعادته فى الدنيا والآخرة يجب أن تستمر وتبقى ، فلا يصح أن تنقطع مادام الانسان ، وهى لاتبقى إلا إذا كانت مرتكزة على سبب دائم مستمر ، وإلا انقطعت بانقطاع اسبابها الزائلة ، وهذا السبب الدائم الذى لا يتغير أبدا هو مرضاة الله ، فاذا عمل الانسان هذه الاعمال امتثالا لأمر الله وابتغاء مرضاته كانت لازمة دائمة لا تنقطع ؛ أما إذا عملها لغرض شهوى فانها تنقطع بانقطاعه طبعا . مثلا : إذا تصدق على الفقراء ليمدحه الناس بالسخاء فانه لا يتأخر عن قطع هذه الصدقة إذا استغنى عن سماع مديحهم بعارض آخر أو يئس من ذلك المديح ، وكذا إذا أنفق بعض ماله فى أعمال البر للحصول على منصب أو جاه ، كما إذا شيد مدرسة أو مصحا أو أعان طلبة العلم أو نحو ذلك من أعمال البر ، فانه يقطع ذلك الانفاق بمجرد الحصول على المنصب أو الياس منه ، وفى ذلك غبن ظاهر للمجتمع . ومثل ذلك ما إذا جاهد فى سبيل الله ليظهر بمظهر الشجاع

فى عين امرأة يرغب فى زواجها ، فانه يستغنى عن الجهاد ويقطعه حتما متى ظفر بها أويئس منها ؛ ولذا قال صلى الله عليه وسلم فى الهجرة : « فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » .

وبالجملة فكل أعمال البر إذا لم تكن مبنية على سبب دائم فانها تنقطع عند انقطاع سببها . ومن مصلحة الأفراد والجماعات أن تستمر أعمال البر فيما بينهم ، فلا تنقطع مادامت الحياة الدنيا . فمن أجل ذلك فرض الله الاخلاص كي يقصر الناس أعمالهم على مرضاة الله تعالى ، ويروضوا أنفسهم على أن يتسابقوا على أعمال البر طمعا فى مرضاة الله تعالى بصرف النظر عن الغايات والأغراض الأخرى ، لتدوم الإعمال الصالحة ، ويحظى العاملون بأعلى الدرجات ؟

«يتبع»

عبد الرحمن الجزيرى
من علماء الازهر

فضل الحنكة

قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن فلانا لا يعرف الشر . قال : ذلك أحرى أن يقع فيه .

وقال عمرو بن العاص : ليس العاقل الذى يعرف الخير من الشر ، إنما العاقل الذى يعرف خير الشرين .

وفى مثل هذا قول الشاعر :

رضيت ببعض الذل خوف جميعه ... كذلك بعض الشر أهون من بعض

وسئل المغيرة بن شعبة عن عمر بن الخطاب فقال : كان والله له فضل يمنعه من أن يخدع ، وعقل يمنعه من أن ينخدع .

وقال إياس : لست بخب والخب لا يخدعنى .

وقال أبو أيوب : من أصحابى من أرتجى بركته ولا أقبل شهادته .

ومن هذا قولهم : حاب فلان الدهر أشطره ، وشرب أفاويقه إذا فهم خيره وشره ، فاذا نزل به الغناء عرفه ، وإذا نزل به البلاء لم ينكره .

وفى ذلك قول الشاعر :

واست بمفراح إذا الدهر سرنى ... ولا جازع من صرفه المتقلب

ولا أتمنى الشر والشر تاركي ... ولكن متى أحمل على الشر أركب

هل يلغى الوقف الاهلى

من مزايا القوة أن يرى الناس كل ما عليه أهلها حسنا وإن لم يكن بحسن ، وكل ما ليسوا عليه قبيحا وإن لم يكن بقبيح . هذا ضرب من السحر شعر به الضعفاء قديما وحديثا ووقعوا تحت تأثيره مرغمين .

ولكن إذا هان أن يقع فيه الافراد فيما بينهم ، فليس يهون أن تقع فيه الجماعات ، وخاصة إذا كانت بصدد إحداث انقلاب فى أمر تشريعى قال به وقام عليه أكثر رجالاتها الأولين .

طبع الانسان على أن يعنى بأسرته ، وبمن يمت اليه بصلة من رحم أو مودة ، ويكره إن كان له عقار من بناء أو مزرعة أن يدعه بين أيديهم بعد موته نهبا للناهبين ، وفيهم الطفل الناعم والمخدرة الخفرة ، والعجوز القعيدة ، والشيخ الكبير .

ألا يحب كل إنسان إذا طاف مثل هذا الفكر فى رأسه أن يجد وسيلة تكفل بها لهؤلاء أن يعيشوا بسلام ما بقى من أيامهم التى قدرت لهم فى هذه الحياة ؟

لا تقل بحسبه أن يترك لهم ما يملكه من مال وعقار ، لأنه يرى بعينيه أن الثروة مهما بلغ قدرها رهن ولد غير نجيب يتولاها فيبذرها فى الهواء ، أو صهر غير صالح يبددها حيث شاء .

ولا تقل أيضا لو كان فى نظام الوقف خير لهدى اليه المتمدنون ، فكم من نظم قيمة لم يهتدوا اليها ، وهل قصر المتمدنون فى تطلب خير مما هم فيه ، وهم يقيمون على تبرمهم بشئونهم كل يوم ألف دليل ؟ ألا ترى رءوس زعمائهم وقادتهم تغلى بالمذاهب والآراء ، وبلادهم تفور كالمراجل بالثورات والانقلابات ، مما لو تأمل فيه المتأمل لاعتراه الدوار من هول ما يقرأ وما يسمع ؟ فلو كانت الاحوال مستقرة لديهم لما كان ثمة داع لكل هذه الصيحات التى تدوى بصداها الآفاق ويسمعها الصم من مكان سحيق .

فهل نهدم نحن ونبنى على مثل هذا القرار المضطرب من أحوالهم ونكون مصيبين ؟

ما هى العيوب التى يراها خصوم الوقف الاهلى فيه ويبنون عليها وجوب إلغائه ؟

يقولون : إنه قد يحمل على مخالفة الشريعة فى توزيع الأنصبة ؛ وينشىء طائفة من العاطلين يعيشون عالة عليه ؛ ويفضى الى خراب الاعيان وضياع فائدتها ؛ ويمكن النظار عليه من اغتياله وحرمان المستحقين فيه ؛ وتؤول أنصبة مستحقيه بتوالى نموهم الى أقدار لا تسمن ولا تغنى من جوع .

نقول : أما مخالفته للشريعة فليس لخصومه أن يحتجوا به ، لأن هذه المخالفة مرت فى جميع الأجيال على أئمة الدين فلم يروا فيها بأسا . على أن علاج المخالفة لا يكون بالالغاء وإنما يكون بالمطالبة برد القسمة الى أصول الشريعة إن كانوا يدافعون عنها .

وأما أنه ينشىء طائفة من العاطلين ، فليس بعلة تقتصر على الوقف وحده ، ولكنها تسرى على نظام الوراثة أيضا . وهى من حجج الاشتراكيين الغلاة والشيوعيين ، ولسنا منهم فى شىء .

أما أنه يفضى الى خراب الاعيان ، فليس بحجة قويمة ، لأن الخراب سببه الاهمال ، والاهمال كما يكون وصفا لمستحقى الأوقاف يكون كذلك وصفا للمالكين . وإنه لتوجد فى القاهرة وسواها ألوف من الدور تركها أصحابها لمعاول البلى لسبب من الاسباب . ودواء هذا ليس إلغاء الوقف ولا إلغاء الملكية ، ولكن أن تسن الحكومة قانونا يقضى بوجوب إصلاح كل متخرب . فان لم يستطع المالك أو المستحق إصلاح ما تحت يده من العقار فيجبر على بيعه إن كان ملكا ، واستبدال غيره به إن كان وقفا . هذا إن كان يعنى الحكومة هذا الامر .

وأما أنا يمكن النظار من اغتياله ، فليس هذا بعيب للوقف نفسه ، ولكنه نقص فى التشريع الخاص به ، وعلاجه أن تطالب الحكومة بوجوب معاملة ناظر الوقف كمعاملة مدير الشركة سواء بسواء . وقد طالبت المحاكم الشرعية منذ سنين بوضع مثل هذا التشريع فلم يلب أحد لها طلبا .

ولو عومل مديرو الشركات كما يعامل نظار الأوقاف لعلت شكوى المساهمين منهم كما تعلو شكوى المستحقين من النظار سواء بسواء . وإذا كان الامر كذلك أ كان يوجد فى مصر عاقل يطالب بحل جميع الشركات ؟

أما مسألة استحالة الأنصبة بمرور الزمن الى أقدار لا تذكر ، فهذه مسألة تستحق النظر ، ولكنها لا توجب إلغاء الوقف ، وإنما توجب وضع نظام للوقف يمنع من إضاعة الثمرة المقصودة منه بعد حين ، وتطلق به يد الحكومة فى تحويله الى غرضه الخيرى متى كانت الضرورة تقضى به .

أليس نظام الوقف لدى المسلمين يفضل نظام الوصية عند الاوربيين ؟

نعم : وذلك من عدة وجوه وجيهة :

(أولها) أنه يحفظ الأسر من الانحلال بعد موت عائلها ، خلافا للوصية فان الموصى اليه يستطيع أن يبدد الثروة فى أيام معدودة ، فتنحل بذلك أسرة كانت كريمة فى المجتمع ، ويصبح أفرادها عالة على الناس . وحفظ الأسر مما تعنى الامم العظيمة بأكبر عناية لأنها دعامات للهيئة الاجتماعية تحفظها من خطر التقلبات الفجائية . وأمامنا انجلترة ، وهى أقوى أمم الارض بنية ، تلجأ فى حفظ الأسر الى وسيلة فذة لا تقوم عليها أمة سواها ، وهى اختصاص الابن

الاكبر بالتراث كله دون سائر أفراد الاسرة . فاذا كان من أهم أغراض الوقف حفظ الاسرة من الانحلال فهو غرض يجب أن يقابل بالاكبار ، وخاصة فى هذا العصر الذى أصبحت فيه الثروات مهددة بخطر الاغراق فى الشهوات ، وبخطر التسرب الى خارج البلاد .

(ثانيها) أنه بعد انقراض الأسرة يصبح ملكا للامة ، فيصرف ريعه فى وجوه البر بها والاحسان اليها ، خلافا للوصية ؛ فعلى فرض أنها تحفظ الثروة من الضياع تصبح بعد انقراض مالكها ملكا للحكومة تصرفه فى شئونها ، ولا يخفى الفرق بين الحالتين . فاذا علمت أن الداء الاجتماعى العضال الناشب أظفاره اليوم فى الجماعات والدافع لأفرادها الى انتحال المذاهب المتطرفة هو الفاقة ، رأيت أن كل ثروة تؤول الى سد مفاقر الناس تعتبر عملا اجتماعيا لا يعدله عمل فى شرف الغاية ، وحفظ الاجتماع .

(ثالثها) أن الوقف يحفظ الثروة للامة التى اكتسبت منها ، ولا يتسرب الى أمم أخرى ، وحكمته فى الوقت الحاضر من أظهر الحكم وأدعاها للاعجاب ، خلافا للوصية فان الثروة التى تتحصل منها قد تتسرب الى خارج البلاد . وخصوم الوقف من أعلم الناس بوجوه هذا التسرب المالى وخطره على المجتمعات .

بعد كل هذا بقيت عقدة يعوزها الحل وهى :

الى أى وسيلة يلجأ رب أسرة يعول نسوة ضعافا وأطفالا صغارا وشيوخا هرمى ، ليضمن الضروريات لهم بعد وفاته ، وهو يرى أن له أولادا معوجى السيرة يتربصون به الموت ليستولوا على تركته فيبددوها فى سبيل شهواتهم فى ايام معدودة ؟

ربما يقال : يسع هذا الرجل ما يسع كل إنسان غيره من أبناء الامم الأخرى .

ولماذا نسقيه هذه الكأس المريرة وفى أوضاعه الشرعية ما يدفع عنه هذه الكاس ، ولا يجعله يرهب الموت كلما ألم به طائف منه ؟

لقد جال هذا الخاطر فى رءوس كثير من رجالات هذه الأمة فى الصدر الاول من الاسلام ، فحبس كثير من الصحابة دورا ومزارع على أسرهم بعد موتهم ، وجرى على نهجهم التابعون ومن تلاهم الى هذا العهد الحديث ، فوقف أكثر رجالات الأسر الكبيرة أملاكهم على ذويهم ومن يلوذ بهم ، لحموا بذلك بيوتهم من الانحلال . وكان أكثرهم يقف جزءا من ممتلكاتهم ويترك باقيها ملكا حرا لوارثيهم . فكانت النتيجة أن أكثر هؤلاء الوارثين بددوا ما ورثوه شذر بذر فى سبيل شهواتهم ، ولم تبق لهم إلا الأملاك الموقوفة ، فعاشوا بفضل غلتها مستورين ، ولولاها لتصدعت دعائم تلك البيوتات ، وتفرق نسوتها أيامى يلتمسون العيش إما باراقة ماء وجوههم فى السؤال ، أو باحتراف المهن الحاطة من كرامة تلك البيوت ، وهذا مشاهد لا يحتاج لبحث طويل .

وهـل يصح فى المعقول أن يعتبر الوقف شينا الى الحد الذى يصوره به خصومه ، بعد أن رأى الناس أن كبراء هذه الامة وصفوة متعلميها عولوا عليه مختارين حتى فى هذا العهد الذى تحمل عليه فيه طائفة منا حملات عنيفة ، وتعده رزءا اجتماعيا يجب تلافيه ؟

إن هذا الشعور القوى بالحاجة الى حماية الاسرة لا يمكن أن يتلاشى من القلوب ، فان سد فى وجهه سبيل الوقف تحرى سبيلا آخر اليها ، وأول ما تفكر فيه حرية الايصاء ، والبيوع الصحيحة والصورية ، وأشد ما أتوقعه تسرب الثروة للمصارف الاجنبية من طريق إيداع الأموال فيها واشتراط توزيع رباها على الورثة بعد موت عائلهم ، وأكثر ما يتسرب من هذا الطريق الثروات الكبيرة التى يملكها كبار المثرين .

فعلى الذين يعملون جاهدين على إلغاء الوقف الأهلى أن يزنوا كل ماذكرناه بميزان المصلحة الاجتماعية ، وأن لا يحملهم ما سببته له العادات من العيوب على الاندفاع فى طريق إلغائه ، فان هذه العادات يمكن سد الطريق عليها باحاطته بتشريع حكيم مستمد من روح الشريعة السمحة ، فيتجرد الوقف بهذه الوسيلة من عيوبه الكثيرة ، ويصبح وضعا إسلاميا جميلا قد تقتبسه عنا الأمم ويصبح لنا الفضل فيه .

أما هدم الأوضاع الصالحة التى شوهتها عادات السوء هربا من عناء إصلاحها وبحجة أنها لا توجد عند سوانا ، فليس من السداد ، ولا هو من عمل المصلحين .

نحن فى هذه العجالة لا نبحث فيما يجب أن يوضع للوقف الاهلى من التحفظات التى تمنع من استحالته الى الحالة التى لا تتفق والمصلحة العامة والغرض المقصود منه ، ولكننا نقول إن الشريعة السمحة لا تضيق ساحتها عن قبول كل نظام يكفل القيام على أكمل الحالات فى أى أمر من الأمور ، لأن مرماها الكمال حيث وجد ، وأصولها صريحة فى وجوب مسايرة كل إصلاح ، وهى تستنهض الهمم لنشدان خير الأمور فى كل ما له علاقة بالانسانية والانسان .

وإذا كانت الشعوب الاسلامية اليوم محفوزة بروح نهضة قوية لبلوغ أقصى شأو بلغته الامم المعاصرة فلا يستدعى ذلك أن نأتى على جميع أوضاعنا التى ليس لديها شبيه لها ، فان ذلك يفضى الى فنائنا فيها من أقرب طريق .

ومما يجب أن يعرفه العاملون على إصلاح العادات والاوضاع عندنا أن اللحاق بالامم الراقية يكفى فيه إصلاح النفوس وبث روح الفضائل فيها وتعميم التعليم ، فلا تلبث الأمة أن ترقى رقيا مطردا لا تكلف فيه . وفى نهضة الامة اليابانية عبرة المعتبرين ، فقد بلغت أبعد شأو فى المدنية ، ولا تزال مبقية على أكثر عاداتها وأوضاعها ، وذلك مصداق لقوله تعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

محمد فريد وجدى

حول مشروع قانون العقوبات الجديد

وصلته بتنفيذ أحكام المحاكم الشرعية فى مواد النفقة بأنواعها المختلفة

نقلت الاهرام مؤخرا الى قرائها فيما نقلت أن اللجنة المنوط بها وضع مشروع قانون العقوبات قد فرغت من وضعه ولم يبق إلا أن ترفعه الى الجهات المسئولة للانتهاء من مراحله الأخيرة ، وقد رأت اللجنة رغبة فى حماية الأسرة إضافة نص جديد بمعاقبة كل من يلزم بالانفاق على أحد من ذويه بحكم قضائى ويمتنع عن أداء هذا الواجب ، بالحبس لمدة لا تزيد عن سنة ، وبغرامة لا تزيد على مائة جنيه . فرأينا أن نأتي فى هذه المناسبة على ضروب النفقة فى الاسلام تنويرا للأذهان ، وتنويها بفضل شريعة القرآن فى بناء العمران :

نوع التشريع الاسلامى النفقة الى ثلاثة أنواع : نفقة واجبة على الزوج لزوجته ، ونفقة واجبة للأبناء ومن فى حكمهم على الآباء ومن فى حكمهم ، ونفقة واجبة للأبوين ومن فى حكمهما على الأبناء ومن فى حكمهم . ففرض فى باب نفقة الزوجية تلك النفقة على الزوج لزوجته ولو فى بيت أبيها ما لم يطالبها الزوج بالنقلة وتمتنع بغير حق ، وفرضها كذلك فى حالة ما إذا كان الزوج موسرا وكانت لامرأته خادمة تجب عليه نفقتها بقدر ما يكفيها على حسب العرف ، بشرط أن تكون الخادمة مملوكة لها ملكا تاما ومتفرغة لخدمتها لا شغل لها غيرها ، وإذا زفت اليه بخدم كثير استحقت نفقة الجميع عليه إن كان ذا يسار ، وإذا رزق أولادا لا يكفيهم خادم واحد يفرض عليه نفقة خادمين أو أكثر على قدر حاجة أولاده . وفى حالة ما إذا مرضت المرأة مرضا يمنع من مباشرتها بعد الزفاف والنقلة الى منزل زوجها أو قبلها ثم انتقلت اليه وهى مريضة أو لم تنتقل ولم تمنع نفسها بغير حق فلها النفقة عليه ، فلو مرضت فى بيت الزوج ثم انتقلت الى بيت أهلها فان طالبها الزوج بالنقلة ولم يمكنها الانتقال لمخافة أو نحوها فلها النفقة .

وقد أوجب التشريع الاسلامى النفقة للأبناء على الآباء بأنواعها الثلاثة : فأوجب للابن النفقة على الأب الحر ولو ذميا لولده الصغير الفقير ذكرا كان أو أنثى حتى يبلغ الذكر حد الكسب وحتى تزف الأنثى الى بعلها . وأوجب على الأب النفقة لابنه الكبير الفقير العاجز عن الكسب كزمن وذى عاهة تمنعه عن الكسب ، ومن كان من أبناء الاشراف أو من فى حكمهم ولا يستأجره الناس فى عمل من شأنه أن يغض من سمعة بيته أو يزرى بكرامته ، وللانثى الكبيرة الفقيرة ولو لم تكن بها زمانة أو عاهة إلا إذا تزوجت ، فاذا تبين أن الأب معسر عاجز عن الكسب أو به عاهة تحول دون استدرار النفقة على غيره ، ألحق بالميت ، وتجب فى هذه الحالة النفقة على من يليه فى المرتبة مع تحقق شرائط الوجوب . ومعلوم أن النفقة تعتمد الجزئية والارث فى وجوبها.

أما إذا كان الأب معسرا ولازمانة به ولا عاهة تحول دون اكتسابه فلا تسقط عنه النفقة لمجرد إعساره لولده ، بل مفروض عليه أن يكتسب وينفق عليه بقدر الكفاية ، فان نفقة الأقارب معتبرة عند الفقهاء ضرورة طارئة ، وإنما تقدر الضرورة بقدر ملابساتها . فان أبى مع قدرته على الاكتساب يجبر على ذلك ويحبس فى نفقة ولده ، فان لم يف اكتسابه بحاجة الولد أولم يكتسب لعدم تيسر الكسب ، أمر القريب بالانفاق على الولد بالنيابة عن أبيه ليرجع على الوالد اذا أيسر مستقبلا . والأم فى حالة إعسار الأب أولى من سائر الأقارب بالانفاق على ولدها ، فاذا كانت موسرة مع إعسار الأب أمرت بالانفاق على ولدها ولا يشاركها الجد ، فان كان الأبوان معسرين ولهما أولاد يستحقون النفقة أمر بها القريب من منزلتهما كما أسلفنا ، فاذا أبى الانفاق عليهم مع يسره أجبره القاضى عليها ، ويكون إنفاق القريب فى هذه الحالة دينا على أبيهم المعسر يرجع به القريب عليه إذا أيسر ، سواء كان المنفق أما أو جدا أو غيرهما ، فان كان الأب معسرا أو زمنا عاجزا عن الكسب فلا رجوع لأحد عليه بما أنفقه على ولده ، وإذا كان أبو الصغير الفقير معدوما وله أقارب موسرون من أصوله فان كان بعضهم وارثا له وبعضهم غير وارث وتساووا فى القرب والجزئية يعتبر الأقرب جزئية ويلزم بالنفقة ، فان كان له أم وجد لأم فنفقته على الام ، وإن كانت أصوله وارثين كلهم فنفقته عليهم بقدر استحقاقهم فى الارث ، فلو كان له أم وجد لأب فنفقته عليهما أثلاثا : على الام الثلث وعلى الجد الثلثان . فان كانت أقارب الطفل الفقير المعدوم أبوه بعضهم أصول وبعضهم حواش فان كان أحد الصنفين وارثا والآخر غير وارث يعتبر الأصل لا الحاشية ويلزم بالنفقة سواء كان هو الوارث أم لا ، فلو كان للولد جد لأب وأخ شقيق فنفقته على الجد ، ولو كان له جد لأم وعم فنفقته على الجد لأم ، فان كان كل من الاصول والحواشى وارثا يعتبر الارث وتجب عليهم النفقة على قدر أنصبائهم فى الارث ، فلو كان للصغير أم وأخ عصبى أو أم وابن أخ كذلك أو أم وعم كذلك فنفقته عليهما أثلاثا : على الأم الثلث وعلى العصبة الثلثان .

فان غاب الاب وله أولاد ممن تجب نفقتهم عليه وله مال عندهم من جنس النفقة ، جاز للقاضى أن يأمر بالانفاق منه عليهم . وكذلك الحال إذا كان للغائب مال مودع عند أحد أو فى بعض المصارف المالية أو كان له دين وكان من جنس النفقة وأقر المودع عنده أو المدين بالمال أولم يقر وقرائن المشاهدات قائمة على وجود تلك الوديعة عند المودوع وبالدين عند المدين بواسطة صكوك ومستندات تثبت ذلك . أما إذا كان مال الغائب ليس نقودا من جنس ما يحكم به بأن كان عقارا أو عروضا فلا يباع منه شيء بالنفقة ، بل تؤمر الأم بالاستدانة عليه للاولاد . لكن حقق صاحب ملتقى الابحر وصاحب كتاب أنفع الوسائل أن للقاضى فى هذه الحالة أن يقدر الملابسات المحيطة بتلك الحالة الواقعة ، فاذا تعذر استدانة الأم على العقار أو العروض وتحققت حالة استثنائية وهى خشية تعرض الاولاد للجوع والفاقة ، جاز أن يباع العقار وأن تباع

تلك العروض بالقدر الذى يدفع عن الاولاد غائلة المخمصة ، والضرورة تقدر بقدرها، بدليل أن الفقهاء أجازوا فى بعض الحالات للولد الذى لم يبلغ حد الكسب أن ينفق من مال أبيه الغائب إذا كان هذا المال من جنس النفقة على قدر كفايته من غير رجوع فى ذلك الى قضاء القاضى .

وتبدو رحمة الشارع الحكيم مقرونة بالعدل الشامل فى حالات كثيرة من أبواب النفقة ، كحالة ما إذا كان الولد الفقير معسرا وله أب غنى ، فقد أوجب نفقة زوجته على أبيه الموسر إذا ضمنها فى العقد ، وأوجبها عليه إطلاقا على أن يرجع بها على ولده إذا أيسر ، لأنها تكون دينا فى ذمته لا تبرأ منها إلا إذا أداها بعد يساره .

فان بلغ الولد حد الاكتساب فان كان ذكرا جاز للاب أن يؤجره على ما يحتمل ممارسته من الاعمال ، أو أن يدفعه الى حرفة ليكتسب بها ، وإذ ذاك ينفق منها أبوه عليه ، ومابقى من كسبه يحفظه أبوه له ليسلمه إليه بعد بلوغه ، وإن لم يف كسب الغلام بمرافقه الضرورية كان على أبيه الموسر إتمام كفايته منها . وإذا استغنت الأنثى كذلك بكسبها من الخياطة أو الغزل أو نحوهما فنفقتها فى كسبها إن وفى بحاجتها ، وإن قصر كسبها عن شئونها الضرورية فعلى أبيها إتمامها .

وإن شكت الأم امتناع الأب عن الانفاق أو التقتير على ولدها منه جاز للقاضى أن يفرض النفقة ويأمر باعطاء الصغير لأمه لتنفق عليه حتى اذا تحققت خيانتها فى الانفاق عليه تحرى القاضى أمثل الطرق فى إيصال النفقة الى الولد . وهنا يرى بعض الفقهاء أن تسلم النفقة الى الأم وجبة بعد أخرى من وجبات اليوم أو تسلم لها النفقة على دفعتين فى اليوم ، واحدة فى الصباح وأخرى فى المساء ، لكن ماعليه عمل المحاكم الشرعية اليوم غير ذلك كما هو مشاهد ، لأن فى عمل المحاكم اليوم تيسيراً أعم على الناس وترفيهاً لهم أعلق بالمصلحة من هذا الرأى ، فان وقعت المصالحة بين الام وزوجها على الاولاد فيما يتعلق بالانفاق عليهم أو صالحت الحاضنة أب الصغير عليه كذلك ، وقع الصلح صحيحا فى حالة واحدة وهى ما إذا كان المصطلح عليه قائما بكفاية الاولاد ، أما إذا كانت غير داخلة فى تقدير أسقطها القاضى من حساب الصلح وفرضها بالقدر الملائم ، وإن كان القدر المصالح عليه أقل من نفقة الكفاية زادها القاضى الى ذلك القدر الذى يكفيهم .

وعليه يتفرع حال آخر وهو ما إذا قضى القاضى للزوجة على زوجها أو للحاضنة على أب الصغير أو أحد قرابته الواجبة عليه نفقته فهى فى حكم نفقة الزوجة فى عدم سقوطها بمضى شهر فا كثر من تاريخ الفرض حتى ولو فرضت بغير استدانة من القاضى ، وعليه عمل كثير من المحاكم الآن ، وهو الارفق بمصالح المتقاضين وأمس بحاجاتهم المتجددة بخلاف سائر المحارم .

فأن فرض القاضي تلك النفقة للصغير على أبيه ومضت مدة دون ان تقبضها الام من الاب حتى مات فان كانت مستدانة بامر القاضى كان للأم الرجوع بها فى تركة أبيه كما

ترجع بها عليه لو كان حيا ، فان لم يقض القاضى باستدانة هذه النفقة وكان فى ذمة والد الصغير متجمد حتى مات سقط هذا المتجمد ولم يجز للام أن تطالب به ورثة الميت اتفاقا .

فلما تطور التشريع فى الاحوال الشخصية وروعى قدر الأمكان ما يجب للا سر من حرمة ، عنى المشرعون بإيجاد ضوابط كانت أوسع نطاقا وأكثر تيسيرا وأفضل تحريا لصوالح الأسر وإحاطة الاحوال الشخصية بسياج صفيق يكفل لها الخير فى أوسع حدوده ، ويدرأ الشر فى أضيق صوره . فرضت لائحة ترتيب المحاكم الشرعية رقم ٧٨ صدر بها مرسوم فى ٢٤ ذى الحجة سنة ١٣٤٩ هـ موافق ١٢ مايو سنة ١٩٣١ م فكانت تلك اللائحة صورة أقرب الى مصلحة الأسر والعائلات مما سبقها من اللوائح ، وكفلت خيرا كثيرا يعود على المجتمع بقسط غير قليل من الرفاهية والاستقرار فى حالات الزوجية ، وبخاصة ما يتعلق منها بالنفقات فى مختلف حدودها وأنواعها

وقد يكون من المفيد جدا لقراء المجلة أن نضع على أعينهم جانبا مما كفلته لائحة ترتيب المحاكم الشرعية وإجراءاتها الصادر بها مرسوم رقم ٧٨ سنة ١٩٣١ فى باب النفقات :

المادة الخامسة من الباب الأول من الكتاب الثانى .

(أ) تختص تلك المادة لبيان ما يقع فى اختصاص المحاكم الجزئيـة الشرعية (وهى أقـل درجات القضاء المبثوثة فى أنحاء القطر) .

(١) نفقة الزوجة :

(٢) نفقة الصغير بجميع أنواعها إذا لم يزد ما يطلب الحكم فى كل نوع على مائة قرش صاغ فى الشهر أو لم يحكم بأكثر من ذلك إن كان الطلب غير معين . وكل ذلك بشرط ألا يزيد مجموع ما يحكم أو يطلب الحكم به للزوجة أو للصغير على ثلثمائة قرش صاغ فى الشهر .

(ب) النفقة عن مدة سابقة على رفع الدعوى إذا لم يزد مجموع ما يطلب على ألفى قرش أو لم يحكم بأكثر من ذلك إن كان الطلب غير معين . ثم إن اللائحة كفلت فى الكتاب الرابع بيان حالات التنفيـذ والاعلانات ، وجاءت تعليمات الحبس فى مواد النفقات بمنشور أذاعه وزير الحقانية على المحاكم ، وانتدبت وزارة الحقانية لكل محكمة قاضيا يفصل فى مواد الحبس .

عباس طه

المحامى الشرعى

تاريخ الادب العربى

فى العصر العباسى (١)

كان لظهور الاسلام أثر بعيد المدى فى حياة العرب من الوجهة السياسية ، فتناولها التغيير الكثير وخضعت للتطورات الخطيرة ، ولكنها بقيت بالرغم من ذلك إبان حكم الأمويين محتفظة فى جوهرها بصورتها القديمة ، فصمدت أمام الحضارة الآرامية فى الشام وبابل ، حيث اختلط البدو بمدنية العمران ونشأوا فيها مع تمسكهم الشديد بمميزاتهم القومية وتقاليدهم القديمة زمنا طويلا ، وكانت الأسرة المالكة تستند الى التقاليد العربية القديمة وتستعين بها على الحكم ، وبها قويت على مكافحة المطالب الدخيلة التى كانت تثيرها جماعة المتطرفين من رجال الدين .

تغيرت هذه الحال مع ظهور العباسيين الذين آلت اليهم السلطة بفضل مساعدة المسلمين من غير العرب على أثر ضعف الامويين عن المقاومة الجدية ، وكانت حكومة الأمويين تخضع لشعور العرب غير مراعية لأصول الاسلام الاولى التى كانت تدعو الى المساواة فى الحقوق بين جميع المؤمنين ، مما أثار عليها شرق البلاد الاسلامية فى خراسان حيث لم يكن للعرب شأن خطير ، اللهم إلا نفر قليل منها فى الوظائف العامة أو بين الجند ، فكانت مستودعات الانفجار متوفرة بين أهالى هذه النواحى من الآريين ، خصوصا أنهم نشأوا على احترام المبدأ الوراثى خلال مئات السنين العديدة فى ظل حكومة ملوكهم الوطنيين ، وعلى هذا النظام الوراثى قامت دعوة الدولة العباسية فى المطالبة بالسيادة لقرابتهم بالنبى صلى الله عليه وسلم .

وكانت الفرس أول من ساعد العباسيين على تولى عرش الخلافة ، فكان لهم حظ وافر ونفوذ كبير فى بلاطهم ، فوصلوا الى أعلى مناصب الدولة وأقرب بطانة الخليفة ، بعد أن كان نصيب هؤلاء الغرباء خلال حكم الأمويين لا يتجاوز بعض مسائل الادارة الداخلية لخبرتهم الواسعة وحضارتهم القديمة .

وهكذا كانت الحال فى الحياة الفكرية ، فان هذا التغيير فى السيادة القومية قد طبعها بطابعه الخاص ، فما كان من مزاحمة الممتلكات العربية إبان حكم الأمويين وتفوقها على موطن العرب الأصلى ، أصبح فى حكم العباسيين أمراً واقعا وحقيقة مستقرة ، فتركزت الحياة الفكرية ببلاد العراق ، وعلى الأخص فى بغداد حاضرة الدولة العباسية الجديدة ، وأما مزاحمة الأفكار

(١) مترجمة من الالمانية نقلا عن كتاب « تاريخ الادب العربى » للمستشرق الالمانى الكبير الاستاذ الدكتور « بروكلمان » .

والعبارة الجديدة التي بدأت في العصر الأموي وظهرت على الاسلوب البدوي القديم ، فانها تغلبت عليه نهائياً حتى أصبح في العصر العباسي لا يجد من يمثله إلا من تعمد التقليد ، ولم يقدره إلا العلماء العارفون ، وبذلك اضمحل شأنه وهبطت قيمته ، وضاع أثره في تطور الأدب على مرور السنين ، فالقصائد ، وكانت لا يربط أجزاءها منذ القدم إلا رباط ضعيف ، تفككت بعضها عن بعض كل التفكك ، وظهرت أنواع جديدة في أبواب الشعر أهمها المرح والصيد ، وأخذت مكانها في الأدب العربي بدلا من كل من المراثي ، وكانت تحيا منذ عهد بعيد حياة مستقلة ، ومن أشعار الغزل والخمريات التي كان قد مهد لها سبيل الاستقلال والتطور عمر بن أبي ربيعة ورفاقه من ناحية ، والوليد الثاني من ناحية أخرى .

وأظهر ما امتاز به الشعر في هذا العصر هو أثر الديانة الاسلامية فيه الى حد بعيد ، بعد أن كانت بعيدة عنه كل البعد ، وإنما يرجع السبب في ذلك الى رغبة خلفاء الدولة العباسية في إظهار الدين في جميع مرافق الحياة العامة ، هذا فضلا عن تعبير الشعوب الآرية بما امتازت به من مشاعر دينية .

وكذلك تقدم النثر في الأدب العربي بخطوات واسعة بفضل المؤثرات الفارسية ، فكانت تمده في أغلب الأحيان بأغنى المواد . ونهج المؤرخون على مثال من سبقهم في الفرس ، فنشطت علوم التاريخ وأثمرت ثمارا غنية ، كما كان للفرس أيضا النصيب الوافر في بناء مضمار العلوم الفلسفية والدينية التي اتسع نطاقها بعد ذلك ، ولو أن السبب الأول في نهجهم هذا المنهج كان بفضل اختلاطهم بالحضارة الغربية .

وكانت بغداد وهي الحاضرة الجديدة التي أنشأها الخليفة المنصور للدولة العباسية قد اجتذبت اليها جميع الشعراء النابهين من النواحي المختلفة للبلاد الاسلامية ، وأول من عرف ممن تحرر في الشعراء من الأسلوب البدوي القديم هو مطيع بن أياس ، وهو من أصل سامي ، ولكن نشأته بالكوفة وتلقيه العلم بها ساعده على التعرف بأصول الحضارتين في بدء امتزاجهما . ولقد حاول الظهور في أول أمره في عهد الأمويين ، ولكنه رأى شروق شمس العباسيين فآثر الانضمام اليهم ، وظهرت موهبته الشعرية وهو في بطانة الخليفة المنصور ، وكانت أشعاره مهلهلة تنسجم في أوزانها مع ما اختص به في الموضوعات الغزلية والخمريات ، كما كان لا يتقيد بصياغة المقدمات الشهوانية لقصائده الغرامية مثل من سبقه من المتقدمين ، بل كان يتهكم على من نحا نحوهم من المقلدين .

ولقد بدء في فنون الشعر في صدر هذا العصر بشار بن برد ، فكان أغنى منه فكرة وأحكم وزنا للشعر ، وهو ابن أحد أرقاء الفرس ، وكان كثير الزهو بما يدعيه من نسبه الى الملوك ، وقد جرى كذلك في صناعته الشعرية ، على تحطيم قيود التقاليد القديمة ، نشأ ضريراً بالبصرة ،

وأول مابدأ حياته الشعرية ، بالغزل ، وكانت قصائده فى هذا المضمار رائعة ذات جاذبية ساحرة ، خشى أثرها الخليفة المهدى فصده عنها اجتنابا للفتنة ، وكان كثير الاختلاط بأصحاب العقائد الحرة فى موطنه ، الذين يريدون تفسير العقائد الاسلامية على حسب المبادئ الفلسفية ومراميها ، كما كان يظهر عطفه على ديانة آبائه على مبادئ زاروسترا ، ولما اكتملت رجولته تقرب من الخليفة المهدى ونظم له قصدائد عديدة فى مدحه ، ولكنه ما لبث بعد أن اتضح له بخله أن تهكم عليه وعلى وزيره يعقوب ، فأمر بقتله عام ١٦٧ هـ .

وجاء من بعده أبو نواس الحسن بن هانئ الحكمى ، وبظهوره بلغت شعراء الملوك أعلى درجات الكمال ، ولد أبو نواس فى أواخر النصف الأول من القرن الثانى من الهجرة بمدينة الأهواز ، وكان يجرى فيه الدم الفارسى من ناحية أمه على الأقل ، جاء أبو نواس الى البصرة فى مقتبل عمره ، وتلقى بها علوم اللغة على أكبر علماء هذا العصر ، فساعده ذلك كثيرا على سيطرته التامة على دقائق اللغة العربية ، وجريا على مثال هؤلاء العلماء اللغويين أقام أبو نواس عاما بالصحراء حيث كانت لغة أهلها من البدو تمثل العربية الصحيحة ، وأخذ صناعة الشعر عن والبه الذى اصطحبه الى الكوفة حيث أكمل دراساته اللغوية ، وبعد أن اشتهرت قصائده الأولى رحل الى بغداد فكان موضع إكرام هارون الرشيد وخلفه الأمين ، وامتازت من بين أشعاره الخمريات فبلغت درجة فى الكمال لم تبلغها من قبل ، ولو أنه لم يكن فى هذا المضمار مبتكرا مجددا ، بل إنه كان ينهل من موارد من سبقه من أمثال الوليد ورفاقه ، كما أنه أخذ عن الحسين ابن الضحاك وكان زميلاله فى الدراسة بالبصرة ، وقد نسبت بعض أشعاره خطأ الى أبى نواس . والمعروف أن الاشعار التى خصصت فى وصف الخمر لم تتسع دائرتها الفكرية لمعانى كثيرة ، وإنما كانت تمتاز بدرجة حيويتها وصدق مشاعرها ، وكانت حياة أبى نواس ملأى بمغامرات الخمر والعشق ، وبذا كانت أشعاره التى تلى الخمريات فى القيمة تنصب فى حياة المجون والعشق التى لاحد لها ولا رادع ، فكانت كثيرا ما تخرج عن دائرة المشاعر الهادئة الجميلة الى القول الغليظ والعبارة الجارحة التى ينبو عنها الفن الجميل ويمجها الذوق الادبى السليم ، وكانت علاقته ببلاط الخليفة تحمله فى بعض الاحايين على صياغة قصائد مديح الخلفاء ، فكان يلجا اليها احترافا ، وهنا كانت تظهر براعته اللغوية التى أثبتت سيطرته التامة على فنون الكلام وصياغة الألفاظ ، ولم يكن بها مايدعو للأعجاب بشاعريته الصادقة . وأما المراثى فكانت أعلى قيمة من الناحية الشعرية ، فكانت قلما تخلو من تعبير عن شعور صادق وإحساس مخلص وكان أبو نواس أول من أوجد للصيد بابا مستقلا فى الشعر ، ظهرت فيه صور رائعة فى وصف حياة الحيوانات وطباعها ، وملاذ الصيادين ولهوهم ، ولم يأت أبو نواس أيضا فى هذا المضمار دائما بالجديد المنقطع النظير ، فان قصائد العصر الجاهلى كانت ملأى بالصور الفاتنة فى وصف حيوانات البيداء ، التى عرفها شعراؤهم عن طريق المشاهدة المباشرة ، كما أن هذا الغنى لم يكن

قد صار الى الفناء التام فى عصر الأمويين ، ولو أننا لا نعرف الآن أسماء من اتخذهم أبونواس مثالا له فى هذا المضمار ، بعكس الحال فى خمرياته كما سبق لنا التنويه .

استغرق أبو نواس طويلا فى حياة المجون ، ولم يترك من ملاذ الحياة منهلا إلا ملأ منه كأسه حتى أشبع شهوته ، ولما لم يبق له منها مطاب ارتمى فى شيخوخته فى أحضان الديانة ، ولم يخرج بذلك عن الظاهرة العجيبة التى امتاز بها الشرق بدون شذوذ ، خصوصا بين الفارسيين حتى العصر الحاضر ، فصار من مادح للخمر والعشق لدرجة التبذل ، الى ناسك متقشف ، ولم يبق له من ذكريات الشباب الماجن والحياة الطروبة سوى ما جعله يحمل ألم فراق الحياة والحسرة عليها . ولم يشذ أبو نواس عن رفاقه فى هذا الفن ، فجعل منه حملات ما كرة ضد من كرههم من الناقدين له بأشعار مقذعه ، أثارت عليه غضب أسرة فارسية عريقة كانت تقيم ببغداد بسبب أشعاره التهكمية ، فأثارت عليه من ينتقم منه ، وكان من جراء ذلك ان عومل بالأذى وبولغ فى الاساءة اليه حتى توفى بسبب تكرار الانتقام منه ، ومات عام ١٩٨ ﻫ .

وظهر من المعاصرين لأبى نواس من الشعراء النابهين أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم ، فامتاز عنه باتساع دائرة الفكرة ولو انه كان أبسط منه فى الأسلوب . أقام أبو العتاهية فى شبابه بالكوفة ، وجاء الى بغداد فى عهد الخليفة هارون الرشيد ، وجرفه تيار ملاذ الحياة فى أول الأمر ، فاخذ قسطا وافرا من متاع الدنيا ، وأنشد أغلب قصائده فى الغزل ، ولكنه سرعان ما تحولت نفسه عن هذه الحياة ، وانقطع للأشعار الدينية ، ووجدت أشعاره ذيوعا بين طبقات الشعب المختلفة أكثر من تداولها بين بطانه الخليفة وحاشيته ، فنجح الى حد بعيد فى تهذيب الأفكار العامة ، ولم يتجاوز بأشعاره الدائرة الدينية إلا قليلا ، فكان كثير التشاؤم يتردد حديث الموت وعذابه فى أشعاره ، ولم يذكر البعث مما جعل الكثيرين فى حيرة من امره ، وحمل بعض المتشككين على الريبة فى صحة عقيدته وثبات إيمانه ، ولم يستطع أبو العتاهية أن يبرز دائما فى ميدان الشعر بقريحة مجددة أو ذهن مبتكر ، ولو أن ذلك لا يقلل من قيمة عمله ، فهو أول من عرف أن يجعل أشعاره فى أسلوب سهل قريب من فهم عامة الناس مبتعد عن الفنون المصطنعة فى صياغة الألفاظ التى كانت تتجه اليها أغراض من سبقه من شعراء الملوك ، ولكنه لم يكن موفقا فى هذا الطريق الذى أراد تمهيده ، فلم يكن لغرسه ثمار ، ولم يقو على إيقاف فساد الذوق العام الذى كان تياره آخذا فى النمو شيئا فشيئا ، ومات أبو العتاهية عام ٢١١ ﻫ .

واخر من ظهر من الشعراء البارزين الذين كانوا يمثلون هذا الفن فى بلاط خلفاء الدولة العباسية هو أبو العباس محمد بن المعتز ، وهو ابن الخليفة المعتز ، ولد عام ٢٤٧ ﻫ ولم تكن له فى أول الأمر مطامع سياسية ، فانقطع لاشباع ميوله الفنية والعلمية ، الى أن اجترفه تيار

الحوادث السياسية التى كانت تتوالى فى هذا العصر ، فانتزعته من حياته الشعرية ، وبايعه بالخلافة بعض الأنصار من المعارضين فى الحكم عام ٢٩٦ هـ . ولكنه لم يبق بها طويلا ، إذ تمكن حرس الخليفة المقتدر فى أسرع وقت من التغلب على أنصاره وتشتيتهم ، ففر هاربا وبقى مختبئا فى بيت أحد رعاياه المخلصين الى أن عثروا عليه وقتلوه خنقا فى الثانى من ربيع الثانى عام ٢٩٦ هـ .

وكان ابن المعتز فى شعره مخلصا لعصره ، فكان على شاكلة زملائه فى محاكاة القدماء فى هذا الفن والسير على مناهجهم ، ولم يخرج عنهم إلا فيما أنشده فى الغزل والعشق ، فان هذا الموضوع كان يستدرجه الى طريق أبى نواس وأتباعه الحديثين ، وأهم أعماله الشعرية التى استحقت تقديرا ممتازا قصيدته المعرفة فى مدح الخليفة المعتضد ، وقد نظمها فى أربعمائة وتسعة عشر بيتا من الشعر تحقيقا للرغبة التى أبداها الخليفة لتدوين أعماله فى الحكم ، وهذه القصيدة على جانب كبير من الأهمية ، فهى تمثل نوعا خاصا هو القصص المنظوم الذى لم يظهر فى الأدب العربى كامل النضوج فى أى وقت آخر من الأوقات ، وكان العرب منذ القدم يعنون بهذا النوع من الشعر ، فظهرت بدايته فى نظم بعض الموضوعات القصصية فى أخبار الحروب القديمة ، ولكنه لم يتقدم إلا فى عصر ازدهار الفنون الشعرية ، فعالج بعض الشعراء الحوادث التاريخية ، وأهم ما عرف من ذلك القصيدة المشهورة التى نظمها أبو يعقوب الخزيمى فى وصف حالة بغداد أثناء حصارها فى الحرب التى قامت بين ولدى هارون ، وكان الوصف هو الناحية الغالبة فيها بعكس القصة التاريخية التى أهملت وأخذت المرتبة الثانية من الاهمية ، وأما القصيدة التى وضعها ابن المعتز لتدوين تاريخ الخليفة المعتضد فكانت آية فى الكمال الفنى ، وفيها وصف دقيق للحالة السيئة التى كانت قد صارت اليها البلاد قبل خلافة المعتضد ، ثم جاء على سرد أعماله لصالح الامبراطورية بألفاظ بليغة وعبارة سامية ، وبقيت هذه القصيدة بدون أثر يذكر فى تطور الادب العربى زمنا طويلا ، الى أن جاء فى العصور المتأخرة بعض الشعراء المحترفين ونظموا بعض قصص الأبطال التى نشأت عن الروايات العربية القديمة .

ولم يقتصر ابن المعتز فى أعماله الادبية على الشعر ، بل إنه دون تاريخ الشعراء من الأمراء ، وجمع أعمال أصحاب الخمريات بعد دراسة وافية للشعر القديم ، ووضع مؤلفا هاما فى تاريخ الشعر الحديث على نمط مؤلفات علماء اللغة ؟

« يتبع »

المرأة فى الاسلام

لا يعدم الحق نصيرا

فى شمال أفريقيا التابعة لفرنسا حركة للمطالبة بالاصلاح ، اتخذت شكلا مقلقا لحكومة الجمهورية ، فهب رجال من خيرة النواب الفرنسيين يطالبون وزارتهم باعارة تلك الشكايات آذانا مصغية ، وبقبول ما يمكن قبوله من مطالبهم ، وقد اقترح النائب المسيو فيولت أن تعطى طائفة من الجزائريين الحقوق المدنية التى تساوى أفرادها بالفرنسيين أنفسهم ، وهو لا يزال يحاول حمل الحكومة على تحقيق غرضه فأثار هذا الاقتراح ثائرة الجرائد الاستعمارية ، فكتبت فصولا مستفيضة فى التشنيع على هذا التجديد ، متذرعة بانحطاط المرأة فى الاسلام ، قائلة إن الاسلام وضع النساء فى مستوى أحط من مستوى الرجال ، فاذا عومل هؤلاء الناس بالقانون الذى يعامل به الفرنسيون ، فلا يمكن تطبيقه على النساء اللاتى يعتبرن فى نظر أزواجهن فى حكم الأسيرات .

فانبرت لهذه الصحف سيدة فرنسية تدعى (ماريا فيرون) فى جريدة (فاندريدى) البارزية ، وكتبت ردا عليهم نترجمه على علاته للقارئين ، قالت :

« منذ ظهور مسالة منح الجزائرين حقوق الانتخاب ، مع الاحتفاظ بقانون الاحوال الشخصية لديهم ، أهرق مداد كثير فى بيان حالة المرأة المسلمة ، وخاصة من جانب كثير من الذين لم يهتموا فيما مضى من الزمان بتغيير حالة هؤلاء المسكينات اللاتي تؤلمهم حالتهن الآن . وقد طال ما كتب بعض الناس هنا كتابات كان الغرض منها التدليل على أن عرب شمال أفريقيا أكثر شعوب المسلمين تاخرا ، ولكن الحكومات المتعاقبة لم تعر هذه الكتابات آذانا صاغية ، وقد حذا حذوهم القائمون بالأمر هنالك ، ولم تفز بشىء من الاصلاح إلا نساء القبائل ، وهن بائسات كغيرهن على السواء . ولم يلتفت الرأى العام الى الحالة التى تعامل بها النساء الغربيات فى بلد عد منذ أكثر من قرن من الممتلكات الفرنسية .

ولقد تيقظ المسلمون كافة بعد فتور دام عدة قرون ، فبدأت النهضة فى تركيا الكمالية ، وبين يوم وتاليه رأينا النساء يخرجن من سجن الحريم ، ويصرن مساويات للرجال ، ويدخلن فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسة .

قد يعترض علينا هنا معترض فيقول : هذا أثر من أثر البعد عن الدين ، فان أحكام القرآن لا تسرى الان على الحكومة والأفراد هناك.

وقد ذكرت السيدة مارية فيرون أن تاريخ المسلمين يحفظ أسماء نساء شواعر ، وفاتها أن تقول : ونساء عالمات أيضا .

وذكرت أن الاسلام سمح لها بالتعلم ، وفاتها أن تذكر أنه سمح لها بالتعليم أيضا ، وسمح لها فوق ذلك بتـولى الافتاء والقضاء ، ولـكن فى غير الدماء . وهـذا حق لا تزال أرقى نساء العالم محرومات منه .

وذكرت أن الاسلام سمح لها بحرية التصرف فى ملكها ، وفاتها أن تذكر بان هذا حق لم تفز به المرأة الأوربية الى اليوم متى كانت متزوجة .

ولـكن السيدة (مارية فيرون) مهما قصرت فى بيان حقوق المرأة فى الاسلام ، فهى تشكر كل الشكر على ما صرحت به من القدر الذى ألمت به عنها ، وهذه فضيلة عظيمة القيمة وخاصة فى بيئة كباريز لا تعرف عن الاسلام كبير شىء . وليس جهل هذه البيئة تقع تبعته عليها وحدها ، ولـكن على جمهور المسلمين أيضا ، فانهم لجهل سوادهم الاعظم بدينهم يجرون فى معاملة نسائهم مع العادات المحلية ، والاهواء النفسية . وأولو الامر فيهم لايبالون بما تجره هذه الحالة من السمعة السيئة على دينهم وعلى كتابهم .

أليس من نـكد الدنيا على العارفين ، أن يكون الاسلام قد بلغ الغاية فى تخويل المرأة بحقوقها المهضومة ، حتى إنه سبق الامم كافة الى أصول من ذلك لو انكشفت للاوربيين لأصبحت فى نظرهم من الادلة على أن القرآن ليس من وضع البشر ، ويتهم الاسلام مع ذلك بانه حط من قيمة المرأة وأغرق فى هضم حقوقها

هذا غريب ومؤلم للنفس فى آن واحد ، ولـكن سببه معروف وهو إهمال خاصة المسلمين أمر عامتهم ، وتركهم وما توحيه اليهم عاداتهم ، وما توجبه عليهم جهالتهم ولا يوجد فى الأرض دين جنى أهله عليه مثل هذه الجناية . فان الذى نراه على عكس هذا الأمر ، ذلك بأن بين أيدينا أديانا ليست على شيء من سلامة الأصول ، ولا من صحة المبادئ ، ولـكن أهلها حاطوها بمعارفهم ، وصحة رجولتهم ، فانعكس عليها منهم مظهر من السمو ليس لها نصيب منه لولاهم .

وقد نبه كتابنا الـكريم ، تفاديا من مثل هذه الحالة ، الى وجوب الاتصال بالعامة وتعليمهم وتهذيبهم ، ونهيهم عن المنكر ، وأمرهم بالمعروف ، وأوصى القائمين بالأمر بان لا يقروا المنكرات ، وأن لا يغضوا الطرف عنها ، وقد وصف الله قوما من الغابرين فقال : « كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم فتنا كقطع الليل المظلم تدع الحكيم حيرانا »

وقد رأينا السلف شديدى الحرص على إزالة المنكرات ، حتى أنشأوا لها خطة خاصة تعرف

هذا صحيح ، ولـكن من يجيل نظره فى الشرق يرى أن ترقيات محسوسة قد تمت فى كل مكان من العالم الاسلامى .

ففى مختلف الولايات الهندية تعطى المرأة صوتها فى الانتخابات على مثال الرجال ، وفى بلاد العجم وسورية توجد نساء قد هجرن عادة التحجب ، وألفن جماعات نسوية ، وهن يجتمعن على شكل مؤتمرات لتحرير مطالبهن الاجتماعية .

وفى مصر نجد الحياة النسوية قد تطورت تطورا كاملا بفضل المدارس الخاصة التى تعدهن لأن يلتحقن بالـكليات المختلفة ، ليصرن محاميات وطبيبات .

ألم نر فى العهد الأخير أن فتاة مصرية قد حصلت على شهادة ربان ؟ والرجال كيف يقابلون هذه الانقلابات ؟ هل احتجوا عليها باعتبار أنها مخالفة للدين ؟ لا مشاحة فى أن بعضهم قد راعه ذلك ، ولـكن الاكثرين على عكس ذلك قد سرهم أن يروا بلادهم تقوم بقدم ثابتة على طريق التقدم .

ومما هو جدير بالتعجب ، أنك تصادف أشد المنتصرين للمرأة من الذين هم أكثر من سواهم اعتقاداً بصحة الدين ، وهم يدعون أنهم بموقفهم هذا يحسنون القيام بوصايا نبيهم وتعاليمه . فلنصغ إذن الى ما يقولون .

إنهم يقولون : إن المرأة قبل بعثة محمد كانت لا تعتبر شيئاً يذكر . فقد كانت عادة وأد البنات شائعة بقصد التخلص من إعالتهن . وقد حرم الاسلام ذلك ولما لم يكن ممكنا أن يحرم الاسلام تعديد الزوجات ، فقد توسط النبى فى الأمر فحصر عدد الزوجات فى أربع مع التوصية بالاكتفاء بواحدة ، بحجة أن الانسان لا يستطيع مراعاة قواعد العدل بين النساء ولو حرص على ذلك أشد الحرص .

وأما من الناحية الوراثية فقد قرر القرآن حصة البنت والام والزوجة ، وأما مسألة التحجب فقد علم أنه ليس فيه إجبار .

وقد سمح الاسلام للمرأة بأن تتعلم ، وقد حفظت أسماء نساء شواعر مشهورات .

ويجب التنويه بصورة خاصة بأن للزوجة حق التصرف بما لها دون أن تـكلف الانفاق على نفسها وهى على ذمة زوجها .

فيأيها الفرنسيون ألا تخجلون إذا قرأتم ما ذكرت !

(مجلة الازهر) تقول : إننا ترجمنا هذه القطعة على علاتها ، وفيها هنات لا تخفى على القارىء ، ولـكنها تعتبر فى جملتها دفاعا عن الاسلام فى بيئة ترى أنه أشد على المراة من كل نظام اجتماعى فى الأرض .

باسم الحسبة عملا بقوله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ». فكل مسلم مكلف بهـذا النص الصريح بالمعاونة على إقامة دولة الاحسان والصـلاح ، وإزالة أصول الشر والفساد ، مما لو أخذ به المسلمو اليوم لأصبح كل إنسان مهيمنا على الفضيلة فى الناحية التى هو فيها ، فلا تبقى للرذائل باقية ؛ وتـكون ثمرة ذلك كله أن الأمة تقوى روحها ، وتشتد أوصالها ، فتصبح لها شخصية معنوية سامية تعجب الناظر اليها ، وتـكون حجة لما هى عليه من دين ومذهب .

وقد ال أمر المدافع عن الاسلام اليوم الى موقف غير منيع ، فهو كلما اضطر لدفع فرية توجه اليه ، عمد لا الى توجيه نظرصاحبها لحالة الآخـذين بهذا الدين من السداد والرشد ، ولـكن الى سرد أصـوله الـكريمة ، ومبادئه القويمة التى بينها وبين ما عليه السـواد الاعظم بون بعيد .

محمد فريد وجدى

التماس الرزق

قال النبى صلى الله عليه وسلم « العائد على أهله وولده كالمجاهـد المرابط فى سبيل الله » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لا يقعد أحـدكم عن طلب الرزق ويقـول ، اللهم ارزقنى ، وقد عـلم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، وإن الله تعالى إنما يرزق الناس بعضهم من بعـض ، وتلا قوله تعالى : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلـكم تفلحون » .

وقال الشافعى : أحرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فانه لا سبيل الى السلامة من ألسنة العامة . ومثل هذا قول مالك بن دينار : من عرف نفسه لم يضره ما قال الناس فيه .

وكان أبو عبيد القاسم بن سلام ينشد :

لا ينقص الـكامل من كماله ماساق من خـير الى عياله

وقال عمر بن الخطاب : يا معشر القراء التمسوا الرزق ولا تـكونوا عالة على الناس .

وقال أكثم بن صيفى : من ضيع زاده اتـكل على زاد غيره .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « خيركم من لم يدع آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته » .

وقال عمرو بن العاص : اعمل لدنياك عمل من يعيش أبدا واعمل لآخرتك عمل من يموت غدا .

كتب جديدة

مقام ابراهيم :

هو اسم خطبة ألقاها الاستاذ الجليل محمد اسعاف النشاشيبي بدمشق في حفلة تأبين فقيد العرب البطل المجاهد ابراهيم هنانو . وقد أحسن بطبعها على حدتها ، فانها قطعة من الادب العالي الذي يقرأ ويحفظ . وقد زادها حلى بتعليقات لغوية وتاريخية وعلمية على كل ما غمض فيها تربى على الاصل نحو ثلاثة أضعاف . فله الشكر على ما أحسن ، وله الشكر على ما أهدى .

القرآن والقصص :

هو خلاصة درس ألقاه فضيلة الشيخ محمد البشير النيفر المدرس بمسجد الزيتونة بتونس . فقد قسم القصص في القرآن ، وذكر طريقته في إيرادها وفوائدها الادبية وحكمها ، وإنه لدرس مفيد لطلبة العلم الديني . فنشكر لفضيلة الاستاذ هذه الخدمة الأدبية .

شرح ديوان علقمة الفحل :

من فحول شعراء الجاهلية وأحد الذين يجب أن يذاع شعرهم بين طلاب العربية . عني بشرحه وطبعه الاستاذ السيد احمد صقر فأحسن كل الاحسان ، وكتب عليه الدكتور النابه زكي مبارك مقدمة قال فيها : « فلا تستقلوا هذه القصائد والمقطوعات والابيات ، فان الجوهر الجيد ليس فيه قليل » .

كمال أتاتورك :

هذا عنوان ملحق لمجلة الهلال نشرته في نهاية سنة ١٩٣٦ على عادتها في نهاية كل سنة من سني حياتها المباركة . وموضوع هذا الملحق من أجل الموضوعات وأنفعها ، درس حياة عبقري أنقذ أمته من مخالب الهلاك ، وزاد على ذلك بان دفعها للتقدم بخطوات لم يعهد لها مثيل ولا في تقدم الامة اليابانية . فهذا الكتاب آخذ باللب من رواية ، وأنفع للقارئ من كتاب علمي .

الملك هنري الخامس :

هذا اسم رواية وضعها شكسبير ، ويكفينا أن نذكر هذا الاسم فيدرك القارئ مبلغ قيمتها من الأدب والحكمة . فان انجلترة الى اليوم صورة من صور عقلية شكسبير . وقد قام

الاديب البليغ سامى افندى الجريدينى بترجمة هـذه الرواية ترجمة تتناسب وعبارة الاصل ، ونشرتها دار الهلال ملحقا لها من الملاحق الكثيرة التى تمنحها قارئيها .

سير العظماء :

هى رسالة صغيرة وضعها حضرة الاستاذ الفاضل حسان أبو رحاب افندى ناظر مدرسة فاروق الاول الابتدائية ، وضعها على شكل قصصى يحفز لمطالعتها ، ويغرى بتفهمها ، وغرضه منها أن ينشئ الرجولة فى قلوب الناشئة ، ويبعث فيها حب الاخلاق النبيلة ، ويوقظ بجانبها غرائز الطموح وتطلب التفوق . فهذه القصة التى تدبجها يراعة رجل خبر النفوس الناشئة ، ودرس طرق التأثر فيها، من خير ما يعول الآباء والامهات والمربون فى تقويم طباع أبنائهم وتلاميذهم .

المسيح والتثليث :

كتاب يقع فى ٢٢٧ صفحة مطبوع طبعا نظيفا على ورق جيد . موضوعه دينى جدلى كما يدل عليه اسمه لم نتفرغ بعد لقراءته حتى نعطيه حقه من النقد والتقريظ . ألفه حضرة النابه الدكتور محمد وصفى يتبين لنا من قراءة فهرسه أنه تعمق فى دراسة الديانة النصرانية . فأتى على المسيح عليه السلام والاناجيل ، وحياة بولس وكتبه ، ودعوى ألوهية المسيح وقد أفاض فيها وألم بعقائد الفرق المسيحية فيها . وذكر الاقانيم ، ومباحث مجمع نيقة . وخرج من ذلك لدراسة أصل التثليث من العقائد الهندية وغيرها . ومر بعقيدتى الفداء والصلب . وختم كتابه بما جاء عن المسيح فى القرآن .

رسول العواطف :

هو اسم ديوان شعر للشاعر الناشئ النجيب الاستاذ محمد محمد الجندى ، قد طالعنا نتفا منه فاذا نحن نرى شاعرية تتمشى نحو التكميل ، ونفسية مؤمنة هادئة بعيدة عن التشاؤم ، وما رأيناه فى هذا الديوان يبشر بمستقبل حسن فى هذا المجال الادبى الجليل .

مفكرة الأمير :

اعتاد حضرة المجتهد عباس افندى عبد الرحمن بشارع محمد على إصدار مفكرة متقنة الصنع فى رأس كل سنة . وقد أهدانا مفكرة هذه السنة فاذا بها من أجمل المفكرات شكلا ، وأرقاها وضعاً . فنثنى على همته ، ونرجو له النجاح فى صناعته .

his nostrils, and washed his face and arms, after which he let the water flow over his head, and washed his body. Finally he shifted his place and washed his feet.

I brought him a napkin, but he refused it and proceeded to rub the water off with his hand."

وَذِرَاعَيْهِ، ثُمَّ أَفَاضَ عَلَى رَأْسِهِ الْمَاءَ، ثُمَّ غَسَلَ جَسَدَهُ، ثُمَّ تَنَحَّى فَغَسَلَ رِجْلَيْهِ.

قالت: فَأَتَيْتُهُ بِخِرْقَةٍ فَلَمْ يُرِدْهَا فَجَعَلَ يَنْفُضُ الْمَاءَ بِيَدِهِ».

Chapter 17.

If a man remembereth in the mosque that he is in a state of ritual uncleanness through sexual intercourse, he should go out just as he is, and not merely perform a dry ablution.

— ١٧ —

بَابٌ: إِذَا ذَكَرَ فِي الْمَسْجِدِ أَنَّهُ جُنُبٌ يَخْرُجُ كَمَا هُوَ وَلَا يَتَيَمَّمُ:

We are informed by ᶜAbdullâh b. Muhammad, who had it from ᶜUthmân b. ᶜUmar, who received it from Yûnus, through Az-Zuhri, through Abu Salamah, through Abu Hurairah, who said:

" The call for standing to prayer had been made, and the ranks of the Faithful had stood up in order, when the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) came out to us *from his house*. When he stood up to prayer in his place, he remembered that he was in a state of ritual uncleanness through sexual intercourse, so telling us to keep our places, he returned home and performed a ghusl. He then came out to us again with his head dripping, whereupon he called the takbir and we performed our prayer with him."

حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا عثمان بن عمر قال أخبرنا يونس عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال:

«أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ وَعُدِّلَتِ الصُّفُوفُ قِيَامًا فَخَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا قَامَ فِي مُصَلَّاهُ ذَكَرَ أَنَّهُ جُنُبٌ فَقَالَ لَنَا: مَكَانَكُمْ، ثُمَّ رَجَعَ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْنَا وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ، فَكَبَّرَ فَصَلَّيْنَا مَعَهُ».

This hadith is confirmed by ᶜAbdu-l-Aᶜlâ as fellow-witness with ᶜUthmân b. ᶜUmar, through Maᶜmar, through Az-Zuhri. It is also related by Al-Auzâᶜi, through Az-Zuhri.

تَابَعَهُ عَبْدُ الْأَعْلَى عن معمر عن الزهرى، وَرَوَاهُ الْأَوْزَاعِي عن الزهرى.

he began by washing his hands and performing the wudûˢ as for prayer, after which he proceeded to the ghusl, passing his wet fingers through his hair, until when he thought he had moistened his skin, he poured water over his hair three times. Finally he washed the rest of his body.

The Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) and I used to wash from the same vessel, scooping water from it together."

Chapter 16.

On one who performed the wudûˢ in a state of ritual uncleanness through sexual intercourse, and then washed the rest of his body without repeating the action for the parts covered by the wudûˢ.

We are informed by Yûsuf b. ᶜIsâ, who had it from Al-Fadl b. Mûsa, who received it from Al-Aᶜmash, through Sâlim, through Kuraib the freedman of Ibn ᶜAbbâs, through Ibn ᶜAbbâs, through Maimûnah, who said:

"The Messsenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) set ready the water for his ghusl in consequence of ritual uncleanness through sexual intercourse. He poured water with his right hand on to his left two or three times and washed his parts. He then struck the ground or the wall with his hand two or three times, rinsed his mouth, cleansed

اغْتَسَلَ ثُمَّ يُخَلِّلُ بِيَدِهِ شَعَرَهُ حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَرْوَى بَشَرَتَهُ أَفاض عليهِ الماءَ ثلاثَ مرَّاتٍ ثُمَّ غَسَلَ سائِرَ جَسَدِهِ ،

وقالت : كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم من إناءٍ وَاحدٍ نَغْتَرِفُ مِنْهُ جَمِيعاً ».

— ١٦ —

بَابٌ مَنْ تَوَضَّأَ فِي الجَنَابَةِ ثُمَّ غَسلَ سَائِرَ جَسدِهِ وَلَمْ يُعِدْ غَسْلَ مَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مَرَّةً أُخْرَى :

حدثنا يوسف بن عيسى قال أخبرنا الفضل بن موسى قال أخبرنا الأعمش عن سالم عن كريب مولى ابن عباس عن ابن عباس عن ميمونة قالت :

« وَضَعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وَضُوءاً لِجَنَابَةٍ فَأَكْفَأَ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثاً ، ثُمَّ غَسَلَ فَرْجَهُ ، ثُمَّ ضربَ يَدَهُ بِالأَرْضِ أَوْ الحَائِطِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثاً ، ثُمَّ مَضْمَضَ واسْتَنْشَقَ وَغَسَلَ وَجْهَهُ

"When I mentioned to ᶜA'ishah the words of Ibn ᶜUmar: 'I do not care to rise in the morning in a state of ihrâm, reeking with perfume, and questioned her on them, she replied: 'I did perfume the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace), after which he visited his wives in turn, and then rose in the morning in a state of ihrâm.'"

« سألتُ عائشةَ فذكرتُ لها قولَ ابنِ عُمرَ: ما أُحبُّ أنْ أُصبحَ محرماً أنضخُ طيباً - فقالتْ عائشةُ: أنا طيَّبتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمَّ طافَ في نسائه ثمَّ أصبحَ مُحرماً ».

2. We are informed by Adam, who had it from Shuᶜbah, who received it from Al-Hakam, through Ibrâhim, through Al-Aswad, through ᶜA'ishah, who said:

٢ - حدثنا آدم قال حدثنا شعبة قال حدثنا الحكم عن ابراهيم عن الأسود عن عائشة قالت :

"I still seem to see the sheen of the perfume on the parting of the Prophet's hair (Allâh bless him and give him peace) when he was in a state of ihrâm."

« كأني أنظرُ إلى وَبيصِ الطيبِ في مَفرِقِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وهوَ مُحرِمٌ ».

CHAPTER 15.

— ١٥ —

On one passing his wet fingers through his hair, until when he thought that he had moistened his skin, he poured water on his hair.

بَاب تخليلِ الشَّعرِ حتى إذا ظَنَّ أنَّهُ قدْ أروى بَشرتَهُ أفاضَ عليهِ :

We are informed by ᶜAbdân, who had it from ᶜAbdullâh, who received it from Hishâm b. ᶜUrwah, through his father, through ᶜA'ishah, who said:

حدثنا عبدانُ قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت :

"When the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) used to perform a ghusl in consequence of ritual uncleanness through sexual intercourse,

« كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا اغتسلَ مِنَ الجنابةِ غسلَ يديهِ وتوضّأ وُضوءهُ للصلاةِ ثمَّ

When Qatâdah asked Anas if he was capable of it, he replied: 'We used to say among ourselves that he was endowed with the strength of thirty men.'"

قال قلتُ لأنس: أوَ كانَ يطيقهُ؟ قال كنّا نتحدّثُ أنّهُ أُعطِيَ قوّةَ ثلاثين».

Sa'îd related through Qatâdah that Anas told them it was nine wives. (1)

وقال سعيدٌ عن قتادةَ إنّ أنساً حدّثهُم: تِسعُ نِسوَة.

CHAPTER 13.

— ١٣ —

On washing away prostatic secretion and performing the wudû' in consequence of it.

باب غَسلِ المَذيِ والوُضوءِ منهُ:

We are informed by Abu-l-Walid, who had it from Zâ'idah, through Abu Hasin, through Abu 'Abdu-r-Rahmân, through 'Ali, who said:

حدثنا أبو الوليد قال حدثنا زائدة عن أبي حصين عن أبي عبد الرحمن عن علي قال:

"I was subject to prostatic secretions, so I charged a certain man to ask the Prophet (Allâh bless him and give him peace) — owing to his daughter's connection with me. He did so, and the Prophet replied: 'Perform the wudû' and wash thy member.' "(2)

«كنتُ رجلاً مذّاءً فأمرتُ رجلاً أنْ يسألَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لمكانِ ابنتهِ، فسألهُ، فقال: توضّأْ واغسلْ ذكرَكَ».

CHAPTER 14.

— ١٤ —

On one who hath perfumed himself and later performed the ghusl, with the traces of the perfume remaining on him.

باب مَنْ تطيّبَ ثمّ اغتسلَ وبقيَ أثرُ الطيبِ:

1. We are informed by Abu-n-Nu'mân, who had it from Abu 'Awânah, through Ibrâhim b. Muhammad b. Al-Muntashir, through his father, who said:

١ ـ حدثنا أبو النعمان قال حدثنا أبو عوانة عن ابراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه قال:

(1) The eleven wives presumably include two slaves, namely Maria and Raihânah, since the Prophet never had more than nine wives at the same time.

(2) The washing of the member should precede the wudû', which would be nullified by touching the member. The waw (و) here is a mere connective which does not imply sequence. In At-Tahâwi's and Râfi''s narrations, however, the logical order is observed.

Chapter 12.

On whether one ghusl is sufficient if a man have sexual intercourse *with his wife* and then repeat it; and on one who cohabiteth with his wives in turn, performing a single ghusl.

1. We are informed by Muhammad b. Bashshâr, who had it from Ibn Abu ʿAdiyy and Yahyâ b. Saʿid, through Shuʿbah, through Ibrâhim b. Muhammad b. Al-Muntashir, through his father, who said :

"When I related to ʿA'ishah the words spoken by Ibn ʿUmar, (1) she replied : 'May Allâh have mercy on Abu ʿAbdu-r-Rahmân (Ibn ʿUmar)! I used to perfume the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace), after which he visited his wives in turn, and then rose in the morning in a state of ihrâm, reeking with perfume."

2. We are informed by Muhammad b. Bashshâr, who had it from Muʿâdh b. Hishâm, who was told it by his father, through Qatâdah, who received it from Anas b. Mâlik, who said :

"The Prophet (Allâh bless him and give him peace) used to visit his wives in turn in a single space of time, during the night or the day, their number being eleven.

— ١٢ —

بابٌ إِذَا جَامَعَ ثُمَّ عَادَ ، وَمَنْ دَارَ عَلَى نِسَائِهِ فِى غُسْلٍ واحدٍ :

١ ـ حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا ابن أبى عدى ويحيى بن سعيد عن شعبة عن ابراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه قال :

« ذَكَرْتُهُ لعائشةَ فقالت : يَرْحَمُ اللهُ أبا عبدِ الرحمنِ ! كُنْتُ أُطَيِّبُ رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم فيَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ ثُمَّ يُصْبِحُ مُحْرِماً يَنْضَخُ طِيباً » .

٢ ـ حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثنى أبى عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك قال :

« كانَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِى السَّاعَةِ الوَاحدة مِنَ اللَّيْلِ والنَّهارِ وهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ .

(1) Namely — ما احب ان اصبح محرما انضح طيبا = I do not care to rise in the morning in a state of ihrâm, reeking with perfume.

CHAPTER 11.

— ١١ —

On one who poured water with his right hand over his left during the ghusl.

بَابُ مَنْ أَفْرَغَ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ فِي الغُسْلِ:

We are informed by Mûsa b. Ismâ'îl, who had it from Abu ᶜAwânah, who received it from Al-Aᶜmash, through Sâlim b. Abu-l-Jaᶜd, through Kuraib the freedman of Ibn ᶜAbbâs through Ibn ᶜAbbâs, through Maimûnah bint Al-Hârith, who said:

حدثنا موسى بن اسماعيل قال حدثنا أبو عَوانة حدثنا الاعمش عن سالم بن أبي الجعد عن كريب مولى ابن عباس عن ابن عباس عن ميمونة بنت الحارث قالت:

"I placed ghusl-water before the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace), and covered his head.(1) He then poured water over his hand which he washed once or twice (Sulaimân (2) said he was uncertain whether Sâlim mentioned three times or not). After that, pouring water with his right hand over his left, he washed his parts. Then rubbing his hand on the ground or the wall, he rinsed his mouth, cleansed his nostrils, and washed his face, hands, and head. Next he poured water over his body, and shifting his place he finally washed his feet. I offered him a napkin, but he made a gesture of refusal and did not take it."

« وَضَعْتُ لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم غُسْلاً وَسَتَرْتُهُ، فَصَبَّ عَلَى يَدِهِ فَغَسَلَهَا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ (قال سلَيمانُ: لاَ أَدْرِي أَذَكَرَ الثَّالِثَةَ أَمْ لاَ) ، ثم أفرغ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ فَغَسَلَ فَرْجَهُ، ثُمَّ دَلَكَ يَدَهُ بالأرض أوْ بالحائِطِ، ثُمَّ تَمَضْمَضَ واسْتَنْشَقَ وَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، وَغَسَلَ رَأْسَهُ، ثُمَّ صَبَّ على جسده، ثُمَّ تَنَحَّى فَغَسَلَ قَدَمَيْهِ، فَنَاوَلْتُهُ خِرْقَةً فقال بِيَدِهِ هَكَذَا وَلَمْ يُرِدْهَا.

(1) Or — screened him off.
(2) i.e. Al-Aᶜmash, one of the narrators.

Muslim and Wahb relating this hadith through Shuᶜbah, add من الجنابة (required after sexual intercourse).

زَادَ مسلم ووهب عن شعبة « من الجَنَابَةِ ».

CHAPTER 10.

— ١٠ —

On the lawfulness of interrupting the ghusl and the wudûˀ;

بَابُ تَفْرِيقِ الغسلِ والوُضُوءِ :

and on the statement transmitted by Ibn ᶜUmar that he washed his feet after the wudûˀ-water had dried upon him.

وَيُذْكَرُ عن ابنِ عُمَرَ أَنَّهُ غَسَلَ قَدَمَيْهِ بَعْدَ مَا جَفَّ وَضوءُهُ.

We are informed by Muhammad b. Mahbûb, who had it from ᶜAbdu-l-Wâhid, who received it from Al-Aᶜmash, through Sâlim b. Abu-l-Jaᶜd, through Kuraib the freedman of Ibn ᶜAbbâs, through Ibn ᶜAbbâs, who stated that Maimûnah said:

حدثنا محمد بن محبوب قال حدثنا عبد الواحد قال حدثنا الأعمش عن سالم ابن أبي الجعد عن كريب مولى ابن عباس عن ابن عباس قال قالت ميمونة :

"I placed water before the Messenger of Allâh (Allâh bless him and give him peace) for his ghusl. He poured water over his hands and washed them twice severally or three times, after which he poured it with his right hand over his left and washed his parts. Then after rubbing his hand on the ground, he rinsed his mouth, cleansed his nostrils, and washed his face and hands, and his head three times.[1] Next he poured water over his body, and then shifting his place, he washed his feet."

«وَضعتُ لرَسول الله صلى الله عليه وسلم مَاءً يَغتَسِلُ بِهِ ، فأفرَغَ عَلَى يَدَيْهِ فغَسَلَهُمَا مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ أوْ ثلاثاً ، ثُمَّ أفرَغَ بيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ فغَسَلَ مَذَاكِيرَهُ، ثمَّ دَلَكَ يَدَه بالأرضِ ، ثُمَّ مَضْمَضَ واسْتَنْشَقَ ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَغَسَلَ رَأْسَهُ ثلاثاً، ثُمَّ أفرَغَ عَلَى جَسَدِه، ثُمَّ تَنَحَّى مِنْ مَقَامِهِ فغَسَلَ قَدَمَيْهِ ».

(1) The three times may apply either to the head only, or to all three parts.